
أنور السادات

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعي

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٥٩ - جمادى الآخرة ١٣٩٢ - يوليه ١٩٧٢

No. 259 — Juillet 1972

مركز الادارة

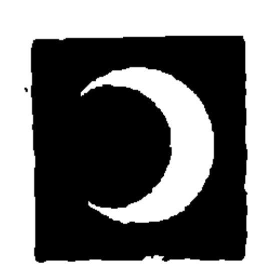
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ - فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية او ٢ جك - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية ؛ فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية - الاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــــلاف بريشة
الفنان جمال قطب

حمدى لطفى

أنور السادات

قصة إيمان بالعسكرية المصرية

دار الهلال

أنور السادات

الرمز الحي للمطالبة بالحرية

بقلم: يوسف السباعي

يتحول كثير من الذكريات بتطور الأحداث الى قطعة من تاريخ الوطن ، فتبقى هذه الذكريات على مر الزمن مصدرا يغرى المؤرخ بالبحث والدراسة ، ويستهوى الصحفى لمعرفة ماتحويه من أحداث وما تشتمل عليه من دلالات .

وفى هذا الكتاب الذى يصدر ونحن نحتفل بذكرى من أغلى ذكريات شعبنا وأكثرها ثراء ، ذكرى العيد العشرين لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأعنى بالكتاب هذه الصفحات التى تروى لنا قصة أنور السادات وايمانه بالعسكرية المصرية ، وهى صفحات تعود بنا الى ذكريات بعينها ، والى الأيام الأولى من شباب ثوار يوليو ووقودها ، وهى فترة الثلاثينات التى عشناها فتيانا ، تملؤنا أكبر الآمال ، وتحركنا أعنف الانفعالات

الوطنية ، على طريق التجـربة ... وفى منتصف فترة الثلاثينات هذه كانت جماهير الشعب كلها قد امتزجت بمطلبها الوطنى الوحيد : « سيادة الأرض قبل الخبز » وأصـبحت قضـية حرية مصر ، واخراج الاحتـلال البريطانى من بلادنا مطلبا أساسيا حيويا ، لا يقل أهمية عن مطالب الحياة اليومية والتزاماتها ، وكان تفكير الشباب الثائر مركزا فى العمـل على طرد الانجليز المحتلين ، وتصاعدت غيرة الشعب على كرامة الوطن الى ذروة الغضب ، الأمر الذى أعاد الى الأذهان حينئذ أحداث « ثورة ١٩ » الخالدة ، وانتفاضة الجماهير من فلاحين وعمال ورجال دين ، وضباط ومعلمين ، وفنانين وطلبة ، وكأنهم جميعا رجل واحد ، ثائر واحد ، ويد واحدة ، تتحرك بارادة قوية لا تقهر ولا تلين ..

فى منتصف الثلاثينات كانت مصر تنضج فى سـكون مجموعة من أبنائها ، ليقودوا نضـالها الـكفاحى ، ولقد نجحت بعد سنوات قليلة فى أن تنجب عددا من شبابها اليافع البسيط ، تولى فى شجاعة نادرة قيادتها على طريق الحرية والخلاص ، واقتحام آفاق الى مستقبل أفضل ،

كان مجرد التفكير فيها جريمة يعاقب عليهـا بالسـجن والتشريد .

لقد نشأ جيل ثوار يوليو ١٩٥٢ بين أبناء العشرينات أول ما نشأ فى ذلك المناخ الوطنى الذى عكسته ثورة ١٩ ، وعاش تلك الأحداث والانتفاضـات الشعبية التى شهدتها مصر بعد ذلك حتى توقيع معـاهدة ١٩٣٦ ، فتكونت عقيدته ومفاهيمه من نبع الحـرية والارادة الصلبة فى تحرير الوطن والدفاع عن شـعبه وكرامته والعمل على تحقيق استقلاله ، فكانت تلك الفترة بمثابة الميلاد الجديد للفكر الثورى داخل وحدات الجيش ، حيث اندلعت فى نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينـات ، شرارة الوطنية فى العقول الشـابة الرافضة لكل ما هو تقليدى وخطأ وسلبى ، بحثا عن طريق يقودها للخلاص من الفسـاد والخضـوع والتبعيـة المطلقة ــ للانجليز وأعوانهم من ضباط الملك السابق .

وفى الجولة الأولى من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أنبتت المعركة مفجر الثورة وقائد مسيرتها ، الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ليصنع التحدى التاريخى الذى شهدناه منذ

عام ١٩٥٢ ، وليقود المسيرة بعد رحيله ، زميل صباه فى المدرسة الحربية ، ورفيقه فى السلاح ، وشريكه فى الفكر الثورى والتشـكيل الوطنى السرى فى الجيش المصرى ، وواحد من قادة الثورة التى تفجرت حين تهيأ المناخ المناسب ، ونادى الايمان والواجب بالخروج فى ليلة خالدة ، ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، هو القائد الرئيس أنور السادات .

واذا كانت هذه الصفحات من كتاب الهلال تتحـدث عن أنور السادات الضابط بالجيش ، وإيمـانه المطلق بالعسكرية المصرية ، طريقا للتحرير والبذل ، فهى أيضا ترسم جانبا من فكر السادات الوطنى المشفوع بالعقيدة العسكرية ، هذا الفـكر الذى عبر عنه خـلال الفترة الماضية بقوله :

ــ « اننا مطالبون بأن نعطى الحياة لكى تكون لنا حياة مطالبون بأن نضحى بالروح لكى تبقى وحـدة ترابنا الوطنى مصونة على طول الزمان » .

ولقد كان السـادات بكل كيانه وامـكانياته خلف عمليات عسكرية ذات أهمية قصوى فى فترتى الصمود

والاستنزاف للعدو خلال العمليات الحربية عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، بوصفه نائبا لرئيس الجمهورية ، وأبرز هذه المراحل مرحلة بناء قواعد الصواريخ ، ثم اسقاط الفانتوم وسكاى هوك الأمريكية ـ الأسرائيلية تباعا بعد ذلك ، وهى مرحلة من أخطر مراحل التصدى للعدو ، واستنزافه ، ثم محاولاته لضرب قواتنا حتى تتوقف عن بناء قواعدها الصاروخية .. غير أن المقاتل المصرى وقف يحمى شقيقه العامل المصرى ، والمهندس المصرى .. فكان الجميع يشيدون القواعد العسكرية الحديثة ويحاربون العدو فى الوقت نفسه ، وقد قدم الرجال أعظم التضحيات فى شموخ بطولى ، خلال معاركهم الانتحارية ، ولم يتوقف البناء ، بل استمر فى اصرار على تحقيق الخطة حتى النهاية ...

ويقول الرئيس أنور السادات عن ذلك العمل الرائع ، ملحمة البطولة والفداء :

ـ « ان أولادنا لم ينكسروا قط »

« استمرينا ومشينا ، وجاءت سنة ١٩٧٠ ، وحكيت لكم هنا فى الهيئة البرلمانية بالتفصيل كيف بدأت غارات

العمق ، ووضعت خطة اسرائيل بمساندة امريكا فى أواخر سنة ٦٩ للاجهاز علينا عن طريق تفوق الطيران الاسرائيلى فى الأشهر الستة الأولى من سنة ١٩٧٠ .

« وبدأت اسرائيل ، وتذكروا أننى رويت لكم عن بدء هذه الاستراتيجية الجديدة والخطة الجديدة حين جاء العدو يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ بـ ٢٦٤ طيارة مع أنه جاء يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ بـ ٢١٠ أو ٢٢٠ طيارة . يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ جاء العدو بـ ٢٦٤ طيارة ، واستمرت الغارات من ٨ صباحا الى آخر ضوء ، أربعة ونصف مساء ، ومانالتش منا شىء أبدا ، ولا نالت من قواتنا ولا من خططنا ولا روح قواتنا المسلحة ، ولا من ابطالنا شىء أبدا ..

« فى هذا اليوم كان الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله فى الرباط ، ولما انتهت الغارات الساعة ٤ ونصف مساء بعد قذف قنابل من جميع الأحجام والأنواع ، زمنية وغير زمنية وبتركيز ٢٦٤ طيارة ... تذكروا انى قلت لكم أصدرت الأمر يومها بنقل بطاريات الصواريخ وتغيير أماكنها قبل صباح اليوم التالى ، وفوجىء العدو

لأنهم ألقوا قنابلهم الزمنية وأمامها وقت حتى تنفجر ، وعادوا فى اليوم التالى يبحثوا فلم يجدوا البطاريات المصرية فى أماكنها ، واضطروا الى تغيير خطتهم على ما يستطلعوا تانى ويعودوا تانى للغارات ، ولم يستطع العدو كسر أولادنا أبدا ..

« لقد واجه أولادنا العدو بكل امكانياته ، ومن وسط القنابل الزمنية من وسط غارات استمرت من ٨ صباحا لأربعة ونصف مساء ، ثم كملوا طـول الليل وغيروا الأماكن ووضعوا البطاريات فى مواقعها الجديدة ..

، « ولم يحدث أن انكسر اولادنا أبدا ...

« ماشيين وجاءت سنة ١٩٧٠ ، وابتدأت غارات العمق وسافر الرئيس جمال رحمه الله الى الاتحاد السوفيتى وزى ما قلت لكم يجب أننا نحفظ له دائما مـكان الصديق الشريف ، قدموا لنا صواريخ سام ٣ من أجل حماية العمق ، وقامت هنا أجهزتنا فى بلدنا ، خلال أربعين يوما بعمل لا يمكن ان تتمه الا دولة من الدول العظمى كانت شركاتنا كلها ، مهندسينا ، عمالنا ، بيشتغلوا فى بناء المواقع الجديدة للصـواريخ .. وفى خلال أربعين

يوما تم عمل ثمنه أربعين مليونا من الجنيهات ، أى كنا نصرف فى اليوم الواحـد مليون جنيه ، وتم انجازها ودخلت صواريخ سام ٣ وتوقفت غارات العمق » .

***

وكانت ملحمة من أشرف وأعظم ملاحم المقاتل المصرى المسموعة بكل دقائقها لشعوب العالم أجمع ، لتكشف عن إيمانه الصلب الشامخ فى ثبات الجبال من واقع هذه التجربة الخالدة المحفورة بدم شهدائنا الأبطال فى صفحات العسكرية المصرية ونضالها الوطنى المكثف .

لقد استمد السادات قدراته الشخصية من خلال المعاناة الطويلة والتجربة الواعية ، وكانت انطلاقاته الوطنية التى عرفناها بأقصى درجات التحرر نابعة دائما من مراحل التصدى للمسئولية الوطنية قبل ١٩٥٢ وبعد ١٩٥٢ ، وقد تربى سياسيا فى مناخ نضالى منذ التحق بالمدرسة الحربية ، ضد احتلال وطنه ، فرأيناه شابا ثوريا يعمل بحرارة الشباب وقوته وإخلاصه ، مرتكزا على قيم غنية مفعمة بالأحاسيس الوطنية مؤمنة بأن كل من ارتدى زى العسكرية المصرية فهو له فدية وجزية لمعركة

بلاده وكرامتها وحريتها .

***

ولقد حاول الزميل الأستاذ حمـدى لطفى محـرر الشئون العسكرية لمجلة المصور وقد ارتبط بالجيش مع قيام ثورة ١٩٥٢ وكان وقتها صحفيا تحت التمرين ، أن يجمع كل نشاطات القائد الأعلى للقوات المسلحة داخل وحدات الجيش من زملاء الدفعة ورفاق السـلاح فى هذه الصفحات .. واذا لم يكن قد استكمل الصورة ، فإن محاولته بلا شك تستحق الوقوف عندها ، ذلك انه مزج بين الوطنية والعسكرية المصرية للرئيس السادات ورفاق الثورة وهو المزج الذى كان بمثابة دعائم للفكر الثورى بين الضباط الاحرار قبل جولة فلسـطين الأولى عام ١٩٤٨ ، حتى قيام الثورة ، ثم انهاء الاحتلال البريطانى الطويل لبلادنا بعد عامين من ٥٢ ، وقد كشف الشعب وجيشه عن ارادة قتالية صامدة ، لا تلين ولا تضعف ، ارادة قتالية انجبتها الروح الوطنية للشعب المقاتل ، الروح التى لم يستطع الغزاة منذ فجر التاريخ ، ان ينالوا منها قط ..

ان أنور السادات هو ابن هــذا الشــعب المصرى الأصيل وهو نبت هذه الأرض المصرية الكريمة الطيبة انه « رمز حى للمطالبة بالحرية » كما وصفه القائد الخالد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ذات يوم من الأيام الأولى لثورة ٢٣ يوليو الخالدة .

يوسف السباعى

لماذا هذا الكتاب؟

اربعه اعــــوام ١٩٣٦ ، ١٩٣٨ ، ١٩٥٢ ، ١٩٧٢ : لها دلالات فى تاريخ بلادنا ، وهى اعــــوام بارزة فى سجل النضال الوطنى لشعبنا ، وشبابه الثائر الذى قام دواما يتصدى للدفاع عن مصر ، ويشق لارادته مسارا ؛ ويقاتل بأظافره حين يفقد السلاح ...

فى هذه الحقبــة الطويلة من العمر ، منذ احتل الاستعمار البريطانى أرضنا ، تصدى الرجال للشدائد ، وكانوا أمام المحن والارهاب والتنكيل ، اكثر صلابة واكثر ثباتا واكثر ايمانا ، فاجتازوا المعابر الدموية الرهيبة بتماسكهم وايمانهم والتحامهم ، حتى جاء الجيل الذى ولد فى العشرينات ، وقام بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ...

واليوم وثورتنا فى عامها العشرين ، يقودها القائد الرئيس انور السادات ، مكملا الطريق الشاق الوعر الذى بدأه قائد النضال ، والتجسيد الحى لأشجع الرجال ، الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ... اجدنى اطرح سؤالا :

— لماذا هذا الكتاب اليوم ؟ ..
— وماذا يضيف من جديد ؟ ..
وببساطة أستطيع أن أقول :

ـ هذا الكتاب ليس الا تعبيرا عن مكونات الانسان الثورى فى القائد الرئيس انور السادات ، وهو يقودنا اليوم من خلال ايمانه بالشعب ، ومن خلال ايمانه بالتضحية ، ذلك الايمان المتفرد عام ١٩٣٨ ، الذى جمع حوله اشجع الشباب من صغار الضباط بالجيش المصرى ، وقد تجاهلوا مستقبلهم الشخصى دفاعا عن مستقبل مصر ...

لقد ظل « السادات » مؤمنا بالعسكرية المصرية فأعطاها من روحه صياغات وطنية جديدة حرص على نشوئها وارتقائها فى أسلحة الجيش التى خدم بها ، كما كانت نوازعه التى يحملها فى ثناياه تدفعه للعمل بتركيز وتكثيف على التفاف الجماعة حول هدف واحد ، وتماسك هذه الجماعة وارتفاعها فوق المثالب والخلافات الصغيرة ، لتنتشر وتثرى من حولها ..

وكان احساسه متدفقا دائما بتاصل الجذور المصرية العريقة ، ونبتها البشرى ، ابنائنا ، أفراد قواتنا المسلحة ، أمس .. واليوم .. وغدا ، فعرف « زملاء الدفعة ، ثم رفاق السلاح » قيمه ومقاييسه حية نابضة خصبة ، تعطى وتجود دائما بالثراء الانسانى الذى خصه الله به ، رغم نشاته البسيطة وما تعرض له فى شبابه من تنكيل ومطاردة ...

كان « السادات » وكل ما أذكره ، حدثنى فيه باستفاضة قدامى المعلمين ، ومنهم من ترك الخدمة العسكرية قبل قيام الثورة ، وبعضهم من تنبأ له

بالهزيمة امام الانجليز ، حتى شاهدوه وهو الضابط الصغير يقف فى وجه ونشـــاط ومشروعات القيادة الانجليزية بالشرق الاوسط ، ولكنهم فى الاعماق كانوا يأملون فوزه ؛ فمصريته وعقيدته القتالية التى عمل على تمصيرها بالرغم من أنف كبار القادة البريطانيين ، كانت احلى واعظم ما يرجو الانســان ان يتحلى به ، خاصة لدى الضباط المصريين ...

كان « السادات » متصلا اتصالا وثيقا بالحياة ، وكان يقول لقادته وزملائه :

« ان بعضنا غارق فى احساس بالرضاء عن نفسه وعن عمله ، وهــذا البعض ببساطة يفتقر الى هزة كبيرة ، هزة تقوده الى فهم جديد ينقذه من التخلف النفسى ، بل من السجن الانفرادى الذى اغلقه على نفسه ، دون ان يرى أنه قابع بين اسوار هذا السجن ... »

جملة ذكرها لى « اللواء متقاعد محمود مختار » ، احد قادة السلاح ، الذين احيلوا الى المعاش قديما

كان شابا بسيطا يمثل اغلبية شباب مصر ، ثريا بحبها مؤمنا بضرورة التضحية بالروح من اجلها ، وباقتدار المقاتل المصرى على تحرير ارضه وحماية استقلالها ، وبالقيم التى ترقد فى داخله وبالطاقات الخلاقة لديه ، وبقوة الدفع التى يملكها ... ومن أجل هذا استثمر نفسه فى المجموع حوله ، وبتميز وموضوعية عمل دائما بمفهوم لا خطوة محلك سر ،

والنظر الى الماضى فى شجاعة « ولنطل على المستقبل من أوسع النوافذ لا من كوة ضـــــيقة صغيرة ... ولنجعل من هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، قاعدة انطلاق لبناء بلادنا ، ذلك البناء المشفوع بالعلم المقترن بالايمان »

لذلك كان « السادات » دائما قوى محركة بالنسبة لنا ، وكما يصفه « الزعيم الخالد جمال عبد الناصر » بقوله :

« لــكم تحمــل من ألوان الحرمان والتعــذيب والاعتقــال والســجن المتكرر ، فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته ، ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رســوخا وايمانا ، حتي صــــار رمزا حيــا للمطالبـــة بالحرية ، ومعبرا صادقا للشعور الوطنى الجامح الذى سرى فى وادى النيل ... »

***

من اجل هذه الاعتبارات ، أعددت هذه الصفحات ، قصـــة رجل حرص دائما على بذل الجهـــد حتى الحد الاقصى ، مبرزا فى فترات حيـــاته كلهـــا عامل التـــآلف والتآخى والتماســــك الجماعى ، والثبـــات الانفعالى الارادى ، لتحقيق الهدف ، محـــددا مكانه فى معــركة المصير ، بالصفوف الاولى بين تشكيلات القتــال ، كمـــا قال « للقوات المسلحة » عام ١٩٧١ :

« انكم مواجهون بمهمة النصر ، وهى اشرف معركة ، لاشرف زى ، زى القتــال ، وســـأكون بينــكم ، فى مقدمتكم ، حين نخطو خطوتنا المتقدمة ... »

يوليو ١٩٧٢   حمدى لطفى

أشرف الغضب

هو الشعب المصرى ، امس وغدا ، وطوال اجياله المتعاقبة ، اختار المقاومة دائما ، وواجه التحدى بصمود وعناد واقتدار ، وظل ابدا دائم النضال دائم الكفاح والتضحيات ، ما توقفت معاركه عبر التاريخ ، أو منذ بدأ يمسك بحدوده الجغرافية دفاعا عن حرية تلك الحدود ويخرج من معركة الى أخرى وارضه مقبرة لغزاته ، صحيح كان صموده فى كثير من معاركه اكبر من انتصاراته ولكنه دواما ظل صامدا كالصخر أمام أضعاف قوته ، فياضا باشجع الرجال كالنهر أمام جحافل الغزاة والمحتلين ، ما ضعفت صلابته وما وهن عناده ، وما ضاعت كبرياؤه وما استسلم على الاطلاق ، ربما لم يدفع شعب مثلما دفع شعبنا وقدم من أغلى التضحيات ، ولذلك كان يعطى دائما ويجود بأشجع الرجال ، مثل هؤلاء الشباب الذين كانوا يخططون لامتلاك القوة المسلحة وتكوين جيش مصرى وطنى خالص المصرية ، فحاولوا هم ومن سبقوهم المرة تلو المرة أن يلتحقوا بالمدرسة الحربية ، ولكن محاولتهم الجريئة كانت تتحطم دائما امام رغبة وسياسة الاستعمار المسيطر ، الحاكم الفعلى للبلاد

ثم وقعت مفاجأة ... واقتحم ابنـــاء الشعب البسطاء المدرســـة الحربية « الـــكلية الحربية ـ بعــــد ذلك » وقبضـــة الاســـتعمار قوية مســـيطرة على المدرســـة والجيش والحكم في مصر ... واذا بمجموعة من هؤلاء الابناء يشتد عودهم ، فيلوون عنق الاسد البريطاني ، ثم يديرون وجـــه الامبراطورية العظمى التى لا تغـــرب عنها الشمس نحو الافول ...

النبع الفياض بالرجال

فجر ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ ..
خرج الى الحياة طفل جديد اسمر البشرة فى « قرية ميت أبو الكوم » مركز تلا منوفية ، هو الرئيس القائد الاعلى للقوات المسلحة ، محمد انور محمد السادات ...

ولقد كتب الله فى صفحته ، ان يكون واحدا من صناع التاريخ فى بلاده ، وان يتولى بعد ذلك قيادة وطنه ، ويحمل فوق كتفيه واحدة من أكبر المسئوليات التاريخية وأخطرها فى تاريخ مصر الوطنى ..

ولد الرئيس القائد انور السادات قبل ثورة عام ١٩١٩ ، بأربعة وسبعين يوما .. كان الشعب المصرى خلالها يموج بالغضب الوطنى النبيل ، ليعلن بعد ذلك فى ٩ مارس عام ١٩١٩ ، غضبة من اعظم غضباته واخلدها ، وتصبح بمرور السنين نبعا فياضا بالوطنية ، يثرى مصر بأصلب ابنائها ، نبعا خصبا اشبيه بالنهر لا يفرغ ابدا ...

كيف كانت البلاد ساعة ميلاده ؟ ..

ماهى « المعاناة » التى عاشتها الجماهير المصرية البطلة ، تلك الايام المحفورة فى جبهة الوطن ؟ ..

لنعد الى الوراء عامين ..

مصر عام ١٩١٦ ، وكل مواردها وثرواتهـــــا من الرجال والحاصلات الزراعية تحت تصرف الســلطة العسكرية البريطانية التى اخذت تجمع ما تستطيع جمعه من العمال والفلاحين المصريين بالاكراه وارسالهم لخدمة قواتها فى ســيناء ، والعراق ، وفلســطين ، والبردنيل ، وفرنسا ، خلال الحرب العالمية الاولى ..

كان ظاهر الدعوة جمـــع العمال المصريين بطـــريق التطوع ، ولذلك ســموا بالمتطوعين ، ولكن الحقيقة انهم كانوا مكرهين ، وقد وضعت الحـــكومة المصرية سلطتها رهن اوامر الاســتعمار البريطانى وقيـــادته العسكرية ، فكان المديرون فى المديريات ، والعمـــد فى الريف ، يقومون بجمع الرجال قسرا لحســابها ، حتى بلغ عدد العمال والفلاحين الذين جندوا بهـذا الاسلوب مليونا وربع مليون رجل ، اطلق عليهـــم اسم « فرق العمال والجمالة » ..

واستولت القيادة الانجليزية على كل دواب مصر ، فلم تبق على جمل ، او حمــار ، صالح للعمـــل ، الا استولت عليه بأبخس الثمن ، كذلك فعلت بالنســبة للمحاصــيل الزراعية ، والحيوانات من المواشى ، بل

اقتلعت اكثر الاشجار للانتفاع باخشابها ، وقد اضطرت الحكومة المصرية الى خفض مساحات الاراضى المزروعة قطنا ، وزيادة المساحات المزروعة بالحبوب لتموين جيوش بريطانيا وحلفائها ..

وفى ١٦ يناير عام ١٩١٦ ، اصدر « اسماعيل سرى باشا ، وزير الحربية » بناء على ترخيص مجلس الوزراء قرارات بطلب جميع الرجال الموجودين « بالرديف ـ الاحتياطى » للخدمة العسكرية ، ما عدا المستخدمين منهم بمصالح الحكومة ، استجابة لطلب قائد الجيش البريطانى بمصر ، الذى كتب الى رئيس الوزراء يقول .

« ولما كانت قواتنا فى حاجة الى تنظيم فروع تشهيلات لازمة للدفاع عن قناة السويس ، وهذا التنظيم يجعلنا فى حاجة الى طائفة من العمال المتعودين على النظم العسكرية ، كالذين يمكن الحصول عليهم من افراد رديف الجيش المصرى ...

فنأمل امدادنا بهم فى أقرب وقت » ...

وقد جمعت الحكومة المصرية اثنى عشر الفا مجندا من أنحاء البلاد ، عوملوا بعد ذلك أسوأ معاملة ، وكان الغذاء الذى يصرف لهم سيئا ورديئا ، بل ان بعضهم ظل أسبوعا بدون طعام على الاطلاق ، فتجمعوا فى اول مظاهرة احتجاج لهم أمام قصر عابدين ، وقد تركوا ثكناتهم فى عين شمس صباح يوم ٢٩ يناير عام ١٩١٦ ، فجاء اليهم رئيس الوزراء ووعدهم بحل مشاكلهم ، وفى اليوم التالى تجددت المظاهرة ، وصدرت الاوامر

بضربهم وتفريقهم بالقوة ، وقد سقط بعضهم قتلى فى ميدان عابدين ، واصبح هـذا الحادث حديث الشعب فى كل مـكان ... وكانت ثورة الرديف المصرى ، هى الارضـية الجماهيرية التى اطلقت بعـد ثلاث سـنوات « ثورة عام ١٩١٩ » الخالدة ...

مصر عام ١٩١٨

تولى السلطان – الملك – بعد ذلك ، احمد فؤاد ، عرش مصر ، فى ٩ اكتوبر عام ١٩١٧ ، وارسل اليه السير رجنلد ونجت ، المندوب السامى البريطانى خطابا اطلق عليه « تبليغا » من الحكومة الانجليزية يقول فيه :

« احيط علم عظمتكم انه لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للان ، وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوراث المتعين طبقا لوراثة العرش ... فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوأ هذا العرش السامى على ان يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثى الذى سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وعظمتكم ..

ثم يقول فى نهاية رسالته او تبليغه ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية مقتنعة ان فى استطاعتها ان تعتمد فى العمل على عظمتكم ، ذلك الامر الذى له من المكانة فى نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل منزلته لدى عظمتكم ... »

وبهذا الخطاب ، وقبوله من جانب احمد فؤاد ، اصبحت الحكومة البريطانية مصدر ولاية العرش ، وصاحبة الكلمة الاولى فى حكم البلاد ....

وقد تألفت فى ١٠ اكتوبر عام ١٩١٧ ، وزارة جديدة برئاسة حسين رشدى باشا ، فجاء مرة أخرى باسماعيل سرى باشا وزيرا الحربية ، والذى استصدر مرسوما سلطانيا بعد عشرة أيام من تأليف الوزارة ، بضرورة التطوع فى خدمة السلطة العسكرية ، ومصادرة الجمال والدواب فى الريف ، تمهيدا لشرائها ! ...

وفى ٩ مارس عام ١٩١٨ ، قرر مجلس الوزراء برئاسة السلطان ، ان تتحمل الخزانة المصرية « ثلاثة ملايين جنيه » اعترافا بجميل بريطانيا العظمى التى حمت البلاد من الغارات ، وان تدرج وزارة المالية « نصف مليون جنيه » لخدمة مطالب القيادة الإنجليزية لدى المصالح الحكومية كالسكك الحديدية ... وكانت الخزانة المصرية قد تحملت حتى نهاية عام ١٩١٧ مبلغ « ٢ مليون ونصف مليون جنيه » لاستخدامها فى احتياجات قوات صاحب الجلالة البريطانية خلال الحرب ..

وفى ١١ نوفمبر من نفس العام ، انتهت الحرب العالمية الاولى بهزيمة المانيا وحلفائها ...

***

جعل الشعب المصرى يرنو بعد نتيجة الحرب ، وبعد ما تحمله من تضحيات وخسائر لحساب بريطانيا ، جعل يرنو الى جلاء الاحتلال عن أرضه ، لكن سلطات المستعمر اخذت على الفور توطد اقدامها ، وتتغلغل فى شئون الحكم ، وتسيطر على مرافق البلاد ، لكنها لم تستطع ان تقضى على الشعور الوطني الجارف الذى

ساد جماهير الشعب ، وجعلها ساخطة متبرمة ... خاصة حين رفضت القيادة الانجليزية ان تسمح « لسعد زغلول باشا ورفاقه » أعضاء الوفد المصرى : فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩١٨ ، بالسفر الى لندن المطالبة بجلاء الأنجليز ، فأثار هذا الرفض جماهير الشعب المصرى ، التى احتشدت على طول مجرى النيل تطالب بالاستقلال ، وردد الكتاب والفنانون من الوطنيين الشرفاء قصة « شهداء الرديف » فى ميدان عابدين عام ١٩١٦ ؛ حيث ثاروا وتمردوا على القيادة العسكرية البريطانية ، وعلى الحكومة المصرية وسلطانها ، وانتشرت القصة تسرى فى بطء ، حتى اشعلت البلاد كلها بعد ثلاثة شهور « بثورة عام ١٩١٩ » الخالدة ....

***

فى هذا المناخ ، ولد الرئيس محمد انور السادات ثم رضع طفلا قصة الثورة الوطنية الكبرى واحداثها ، ورجالها ، واطوارها ...

فى المدرسة الابتدائيه

سافر الاب عائدا الى عمله بالسودان ، تاركا طفله « محمد » فى رعاية جدته لابيه بقرية ميت ابو الكوم — مركز تلا — منوفية ، وكان الاب قد اعتاد أن يقضى ثلاثة شهور — وهى اجازته السنوية — بمسقط رأسه كل عام ..

ولقد كان لهذه « الجدة » تأثير بالغ فى تربية حفيدها محمد انور السادات ، وفى القرية ، قال لى رفاق الصبا يروون عنها وعنه :

« كانت سيدة فاضلة تجمع بين صفات كثيرة ، قوة الشخصية ، ورجاحة العقل ووعيها بما يجرى خارج قريتها ، فكان ابناء القرية يلجأون اليها لحل مشاكلهم ومنازعاتهم ، وقد اعتادوا قبول كلماتها احكاما فاصلة يطبقونها على الفور ، كما كانت سيدة متدينة تحرص الى جانب الصلاة على الاستماع يوميا الى تلاوة القرآن الكريم ، و « محمد » حفيدها فى يدها دائما ، لا يفارقها الا قليلا ، حين ينضم الى اطفال القرية ، فيحدثهم بما ترويه له جدته ..

كانت هذه « الجدة » قد عاشت قبل زواجها فى رعاية عمها ، وهو ضابط من أعوان الزعيم القائد احمد عرابى ، اشترك فى القتال ضد الانجليز ، وقد اهتم

بتربية ابنة شقيقه تربية وطنية كاملة ، فعكفت هى الاخرى على تلقين حفيدها « محمد » قصة عرابى ، وكفاح الشعب المصرى ، وحفر قناة السويس ، واستبداد « السلطة » بالرجال للعمل فى معسكرات الانجليز ، وكيف سقطوا صرعى الجوع والامراض . وغارات الالمان ، كما سقط شهداء الردبف قتلى برصاص السلطة امام قصر عابدين ..

ونعلق « محمد » بجدته واحاديثها ، ويروى عن تعلقه بها ، وتأثيرها عليه ، كثيرا فى كتبه التى اصدرها عقب قيام الثورة ، فكما ارضعته حب مصر ، وكراهية الاحتلال البريطانى والسلطة الحليفة له ، ربته على الارتباط بالدين ، وتأديه فرائضه فى دقة وحرص بالغين ، فكان مثال الطفل المتدين ، حتى ان رجال القرية كانوا ينادونه : « بالشيخ محمد » ..

***

وحين بلغ الخامسة من عمره ، أخذه والده الى « كتاب » الشيخ عبد الحميد عيسى ، مأذون القرية الان ، وكان « كتابا كبيرا » يضم قرابة ١٥٠ طفلا ، من ابناء قرية ميت ابو الكوم ..

يقول الشيخ :

ـ كان « محمد » هادئا ، طيعا ، يتقدم صفوف الاطفال ويجلس قبالتى ، مستمعا لما أقوله ، متيقظا قادرا على الفهم والهضم ، وكان حريصا ايضا على نظافة ملابسه ، عكس بقية الاطفال ، وحين تعلم مبادىء الكتابة لمحت فيه حرصه على النظام ، والخط

الجميل المنسق ، واتباعه القاعدة دائما .. ولذلك لم يحدث مره ان تعرض للعقاب ..

ورأيت « محمدا » يؤدي الصلاة وهو في السادسة من عمره ، وتركته يعلم بقية زملائه كيف يؤدون واجباتهم الدينيه ، وحين بلغ الثامنة كان قد حفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم ، وأجاد الحساب والكتابة ...

***

وفي لقاء مع اثنين من رفاق الطفولة « رفعت » النقيب بالقوات المسلحة الان ، و « بولس » المدرس قالا لي :

ـ قرر الوالد ان يلحق ابنه « محمد » بالمدرسة الابتدائية الوحيدة في منطقتنا ، مدرسة الاقباط الابتدائية .. بقرية « طوخ دلكه » على بعد كيلو متر من قريتنا ، وكنا قد سبقناه بحكم العمر الى هذه المدرسة ، ولكن الناظر قرر أن يلحقه بالصف الثاني مباشرة بعد ان عقد له امتحانا في اللغة العربية والحساب

يقول « بولس بطرس » المدرس الان بالمدرسة نفسها :

ـ ظل منافسا قويا للمتفوقين من التلاميذ ، وخاصة في المواد الرئيسية كاللغة الانجليزية ، واللغة العربية ، والحساب ، وكان يحب المشي على الاقدام ، والتربية البدنية ، كما كان حريصا على علاقاته بالمدرسين والتلاميذ ، فأحبه الجميع واحبهم ، وقد حرص دائما وطوال حياته على زيارة قريته في جميع المناسبات ، ولم ينس أن يزور مدرسته الابتدائية ، وقد كتب في سجل زيارات المدرسة يوم ٩ اكتوبر عام ١٩٥٣ ، هذه العبارة :

« بسم الله والله أكبر والمجد لله » ...

اللهم انى احمدك واشكرك ، فقد اراد جل وعلا ان ازور مهبط الوحى واصل ثقافتى والمدرسة التى وهبت روحى الكفاح فى الحياة ، فهى فى نظرى قبلة احج اليها لاتزود من جديد بالقوة والايمان ..

اننى أتمنى للجمعية والمدرسة اخلص ما أتمنى ، واعد ان أكون خادما لهذه المدرسة حتى ارد ولو بعض الجميل ...

وفق الله الجميع وهدانا جميعا سواء السبيل ...

انور السادات

***

عام ١٩٣١ كان والد الرئيس قد نقل الى القاهرة ، وسكن فى بيت صغير بكوبرى القبة هو « مدرسة القائد » الآن ، بشارع القائد المواجه لقصر القبة .. وقد الحق ولده بالمدرسة الثانوية « فؤاد الاول » بالعباسية ؛ متحملا مصاريف الدراسة الثانوية الباهظة فى ذلك الوقت ...

تحدث الرئيس انور السادات عن هذه الفترة من حياته فى بداية عام ١٩٧٢ ، فقال : ان والده عجز عن الحاقه هو وشقيقه بالمدرسة الثانوية ، وقرر أن

يختار بينهما ، فكانت المرحلة الثانوية من نصيبه بمحض الصدفة البحتة . . .

***

يقول السيد احمد شفيق حسيب ، احد زملاء المدرسة الثانوية ، ثم المدرسة الحربية بعد ذلك :

– كنا جيلا أكبر من أعمارنا ، جيلا جادا ، خشنا ، عاش طفولته يستمع الى قصة ثورة عام ١٩١٩ وشهدائها ، والمحاكمات التى أجرتها سلطات الاحتلال العسكرية الانجليزية لجماهير الشعب فى أنحاء الوطن عقابا على قيامهم بالثورة ، وهى المحاكمات التى انتهت باعدام ٥١ مواطنا ، وسجن وجلد عشرات المئات فى القاهرة واسيوط والواسطى وديروط وملوى والمنيا وفاقوس ورشيد وقليوب وبنى سويف وطنطا وكوم امبو ودير مواس ومطاى وابو قرقاص والاسكندرية ...

وقد ظلت هذه المحاكمات تملأ خيالنا ووجداننا ، واورثتنا الكراهية المطلقة للاستعمار واعوانه من الباشوات والحكام ، ولذلك لم يكن مستغربا أن تكون اهتمامات تلاميذ المدارس الثانوية محصورة فى العمل الوطنى ، والنضال الجماعى ضد الاحتلال خلال الثلاثينات ، وكان « السادات » واحدا منا ، غير انه لم تكن له حياة خاصة كبقية الشباب ، بل كانت القضية الوطنية هى كل حياته ومشاغله ، فاشتهر بكراهيته الهائلة لقوات الاحتلال ، وقدرته الشخصية على جذب الطلبة حوله ، وشحنهم دواما بالمشاعر الوطنية ، وبذل كل ما يمكن بذله من أجل الحرية والاستقلال ...

ومضت السنوات الخمس فى المدرسة الثانوية ، والسادات يعرف ويقرأ ويتقصى ويلتحم بالناس ، ويقول أصدقاء عمره : انه أحب العسكرية المصرية خلال تلك الايام ، فقد بقى مغرما بسيرة أحمد عرابى ورفاقه ، وكان يعبر عن هذا الغرام بحديثه اليومى تقريبا عنه ، ويرسم اللوحات التى تصور مواقف عرابى الوطنية الجريئة ، مما جعله يتقدم الى المدرسة الحربية طالبا الالتحاق بها ، وفى رأسه أحلام وأمنيات عريضة ... فى مقدمتها جلاء قوات الاستعمار البريطانى عن أرض الوطن ...

الفصل الثانى

طلائع الثورة

ان النجاح الأكبر الذى تستطيع ثورة ٢٣ يوليو أن تحققه ، يتأكد ويبقى فى حياة الشعب المصرى ، كما نادى به « عبدالناصر » عندما تذوب الطلائع الثورية التى تحملت بمسئوليتها يوم ٢٣ يوليو فى حياة الجماهير المدنية ، وارادتها العليا ، فتتقدم اجيال اخرى ، تقود وتصنع التحول العظيم ٠

انور السادات

٢٣ يوليو ١٩٧١

كانت مفاجأة ...

لقد ظل الانجليز يحرصون على ابعادهم عن العسكرية المصرية ، ثم عادوا وسمحوا لهم بالالتحاق بالمدرسة الحربية ... ما السر وراء ذلك .. ؟

كانت بريطانيا تخطط استراتيجيا فى البلاد التى تستعمرها ، وبفتحها باب المدرسة الحربية امام ابنائنا ستحصل على جيش مصرى شاب يدافع عن مصالحها الاستعمارية فى شمال افريقيا ... ولكن شبابنا الذى رضع ثورة عام ١٩١٩ ، وتخرج بعد ذلك ضباطا فى الكليه الحربية ، كان يخطط هو ايضا ويرسم فى خياله كيف يمكن عن طريق هذا الجيش ان ينتزع من الانجليز مطالب مصر الوطنية ...

لقد تخرجت فى الكلية الحربية طلائع ثورية شابة ، هى التى أنهت وجود الاحتلال الانجليزى لبلادنا ، بل هى التى لوت عنق وذيل الاسد البريطانى فى المنطقة العربية ، ثم استدارت تصنع التاريخ الحديث لمصر الثورة وتذوب فى كيان الشعب المصرى ، ذلك البطل الذى انتفضت من عزمه أشرف الثورات واقدرها سمودا ذات صباح خالد من يوليو عام ١٩٥٢ ، وكان بين جنودها المقدم أركان حرب محمد أنور السادات ، قصة حية خصبة ، آمنت بالعسكرية المصرية ، فاقترن وجوده باضافات متميزة ، وأصداء ايجابية .. كشف عنها الستار لاول مرة ، منذ عام ١٩٥١ ، قصة مليئة بالايمان والنضال واليقين والمعارك المتصلة ...

وفى هذا الفصل ، يتحدث زملاء الدفعة التى تخرجت فى الكلية الحربية فى فبراير عام ١٩٣٨ ـ دفعة الرئيس السادات ـ عن السنوات التى قضوها بالكلية يدرسون « العسكرية » تحت اشراف القادة الانجليز ، ومحاولاتهم العديدة للانسلاخ من الجلد الانجليزى ، وبقاء مكوناتهم الثورية فى ارواحهم نقية سليمة ، قادرة على العطاء والبذل من أجل مصر وخلاصها ...

كان لقاء بلا موعد ، أعده القدر ليجمع بينهم ، ولكنه بدا بعد ذلك وكأنهم اتفقوا مسبقا عليه ، حتى حين اضطر احدهم الى التخلف مرغما لم يقبل ابعاده كواقع لا فرار من التسليم به ، بل ناضل فى ثبات واصرار ، ليعود من جديد ، وينضم الى رفاق الطابور ، الذين لم يكن قد تبينهم أو تبينوه جيدا ، يوم أعادوا اليه اوراقه ، وأخرجوه من صفوف زملائه ، لانه ظهر من قبل سافرا فى احدى المظاهرات الوطنية ! .. ذلك ، هو القائد الراحل جمال عبد الناصر ...

كانت مصر فى منتصف الثلاثينات تمر بمرحلة دقيقة بالغة الحساسية عبر تاريخ نضالها الطويل والجماهير مشحونة انفعالا وطنيا متاججا بمطالب الاستقلال ، تطرح بنوازعها الوطنية ، وبوحى من ضميرها ، صيافات ولدتها « ثورة عام ١٩١٩ » الخالدة ، وما خاضته من معارك ، ثم ما أثمرته فى أرواح شعبها من صلابة ونضج وتجربة واعية ...

فى هذه الفترة ، جاءت مجموعات شابة من ابناء الشعب الثائر تسعى الى الالتحاق بالمدرسة الحربية « الكلية الحربية فيما بعد » جاءت من كل ناحية وصوب ، من الكفور فى أعماق الريف المصرى ،

بالصعيد واندلتا ، أو من قلب المـــدن الكبيرة الزاخرة بالمشـاعر الوطنية ، مجموعات شـــابة مفطورة على قوة نفاذة محركة ، ولــكنها مقيدة محبوسة داخل كوامنهم ، وبالرغم من قيـدها ظلت مرشـــدهم ودليـــلهم ، كانت ملامحهم ولهجاتهم مختلفة تنبىء عن مواطنهم ، ولــكن ما يدور فى رؤوسهم كان فكرا متقاربا ، تماما كأعمارهم، ولذلك تعارفوا وتآلفوا سريعا ، كان رباطا وثيقـــا هو الذى يجمعهم ، ويوحد كلمتهم ويشـــدهم بعضا الى بعض ...

من بين هؤلاء الشـــــــباب الذى قدر له الالتحاق بالمدرسة الحربية ما بين أعوام «١٩٣٥ ، حتى ١٩٣٨» خرج القائد الراحل جمال عبد الناصر ليقود ثورة ٢٣ يوليو ، ويحرر البلاد من الاحتلال الانجليزى ، ويصبح اول رئيس مصرى لاول جمهـــورية مصرية ، ويؤســس مصر الثورة ... كما خرج ايضا معه رفيق الســـلاح والعمر ، الرئيس أنور السادات ، احد العلامات البارزة على طريق النضال الوطنى ، الذى خاضه شباب مصر، فاعطوها دائما أشرف التضحيات ، ومن بينهم ايضـــا حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ...

رحلة عمر مثيرة حافلة بالاحـــداث والتجارب قطعها هؤلاء الشباب ، منذ تخرجوا بالــكلية الحربية فى نهاية الثلاثينـــات ، وقضـــوا فتـــرة طويلة ضبـــاطا بالقوات المســـلحة ، قبـــل ان يخرجوا الى الخـــدمة العـــامة ، ويشتركوا .. كل منهم بقدره فى صنع المجتمع الثورى الجديد ..

ولقد واجه بعضهم الموت وجها لوجه ، وقدر له أن يبقى وينتصر ، بينما مضى البعض الى رحاب الله عند بداية او منتصف الطريق ، استشهادا فى الميدان او فوق فراش المرض ، بل ان احدهم تخرج وبعد تخرجه بساعات توفى فى حادث بالطريق ، وخريج آخر توفى قبل تخرجه بيوم واحد وهو يقوم بتدريب خاص فى طائرة مقاتلة ، ومنهم السيد حافظ اسماعيل مستشار السيد الرئيس لشئون الامن القومى ، واللواء احمد اسماعيل مدير المخابرات العامة ، والفريق أول محمد احمد صادق وزير الحربية ونائب رئيس الوزراء وقد تخرج عام ١٩٣٩ .

ومن بينهم ، من تولى مناصب قيادية عسكرية ، كالبطل الشهيد الفريق اول عبد المنعم رياض ، ثم الفريق على عبد الكريم مساعد وزير الحربية الآن ، واللواء أحمد فتحى عبد الغنى قائد الدفاع الشعبى والعسكرى ، واللواء احمد زكى عبد اللطيف مدير الكلية الحربية ، واللواء محمد عوض الاحول مدير ادارة القضاء العسكرى ، بينما ترك البعض منصبه القيادى العسكرى الى منصب المحافظ ، فتولى الفريق محمود ماهر الرمالى قائد المدفعية ، ثم مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا ، محافظة سوهاج ، والفريق صلاح محسن مساعد وزير الحربية سابقا محافظة المنيا ، واللواء سليمان مظهر قائد المشاة سابقا محافظة البحر الاحمر ، واللواء عبد التواب هديب مساعد رئيس الاركان سابقا محافظة بورسعيد ..

ونجد أيضا بين طلبة الكلية الحربية فى الثلاثينات صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية والمرحوم عصام حلمى المصرى سفيرنا السابق بالارجنتين ، والسيد امين حلمى الثانى سفيرنا بالهند ، وأمين سامى سفيرنا ببولاندا ، ومصطفى لطفى بمدريد ، وسعد متولى بتشيكوسلوفاكيا ، وفريد عبد القادر ببورما ...

وفى ميدان العمل الادارى والتنفيذى ، يراس الفريق جمال عسكر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ،

كما تولى اللواءات جعفر العبد ، ومحسن متولى ، شقيق فريق اول سعد متولى ، وجمال سلطان ، واحمد المصرى ، مناصب وكلاء الجهاز المركزى للتنظيم والادارة منذ عام ١٩٦٥ ...

ومن بين هؤلاء الشباب طلبة الكلية الحربية ما بين اعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٨ ، نلتقى بطالبين ، أحبا الادب والقراءة .. أولهما : اللواء مدرعات يوسف السباعى ، رئيس مجلس ادارة دار الهلال الآن ، وقد اعطى الادب اجمل سنوات العمر ، فاصدر عشرات الكتب والروايات الطويلة ، كما كتب اليوميات والمقالات فى الصحف والمجلات ، واستطاع خلال الخمسينات والستينات ، ان يقيم الملاقات الثقافية الحية بين ادباء آسيا وافريقيا ، الى جانب تدعيم التعاون السياسى بين ساسة وادباء وكتاب القارتين ، ولذلك انتخب سكرتيرا عاما لمؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى ...

وقد استطاع يوسف السباعى ، بدافع من ثروته

الادبية وعشقه للكلمة المكتوبة ان ينشىء فى بداية الثورة المجلس الاعلى للآداب والفنون ، وكان انشاء هذا المجلس نفطة مضيئة فى طريق من آمنوا بالكلمة واقتدارها ، أولئكم الذين وصفهم احد الثوار القدامى « بمهندسى الحياة » ...

***

والرجل الثانى هو اللواء جمال حماد ، الذى شغله عمله العسكرى والتنفيذى عن اخراج كل انتاجه الادبى الى القارىء العربى ، ومن أشهر رواياته « شروق وغروب » التى قدمتها السينما المصرية منذ سنوات .

ونجد بين هؤلاء الشباب اثنين تركا العمل العسكرى الى السينما المصرية ، الاول هو المرحوم عز الدين ذو الفقار ، الذى تفرغ للاخراج السينمائى قبل قيام الثورة ، وقد ترك عمله كضابط وهو برتبة نقيب ، ثم الفنان احمد مظهر الممثل السينمائى الذى اعتزل العسكرية وهو برتبة عقيد ، ليصبح واحدا من اشهر نجوم الشاشة المصرية ...

مناخ ماقبل ٣٥

بعد هذا التقديم للكثير من ضباط أهم السنين التى عاشتها الكلية الحربية عبر تاريخها العسكرى ، السنين الفياضة بالوطنية والفداء ، والافكار الثورية ، والانتفاضات الجماهيرية المستمرة ... أو كما يصفها احدهم « بالفترة الزمنية التاريخية التى اجتازتها البلاد وكانت بمثابة الاب الشرعى لظهور الافكار التحررية على نطاق بسيط بين الجماهير اخذت تنمو بعد ذلك حتى شملت شباب جيلنا ، فخرجت منه هذه المجموعات الفتية التى تقدمت الى المدرسة الحربية لا تملك من الدنيا واسطة أو ارضا زراعية ، وليس لديها غير شبابها وشرفها وعلمها وثروتها الوطنية ...»

كيف كان المناخ السياسى تلك الايام ؟ .. ماذا نعل الانجليز ؟ .. وكيف كانت تبدو خططهم ؟ .. ورجالنا بالامس ، خضر العود ، فى العشرينات أو اقل من العمر ! ؟ ..

الزمان : اكتوبر عام ١٩٣٥ ...

فى ذلك الشهر، التحقت بالمدرسة الحربية ـ الكلية الحربية بعد اعوام ـ اكبر دفعة من الشباب المصرى ، بلغ عددها ٤٠ طالبا ، وقبل اكتوبر عام ١٩٣٥ ، والكلام هنا « للسيد حافظ اسماعيل » مستشار رئيس

الجمهورية ، احد ضباط هذه الدفعة ، لم تكن المدرسة تقبل اكثر من ١٥ طالبا فى أكثر الحالات ...

ومضى عام ، وفى ٦ اكتوبر عام ١٩٣٦ ، بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ المشهورة ، أعلنت المدرسة الحربية عن قبول دفعة جديدة ، تقدم اليها الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والرئيس أنور السادات ، والشهيد البطل الفريق عبد المنعم رياض ، والسيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، وعدد كبير من الطلبة ، كان لهم بعد ذلك ، أشجع الادوار واخطرها فى تاريخ مصر ...

وقبلت المدرسة أوراق ٤٤ طالبا ، وكان من بين الاسماء التى اعيد أوراقها الى أصحابها الطالب جمال عبد الناصر حسين، بعد ان اكتشف المسئولون الانجليز ، واعوانهم من المصريين ان هذا الطالب قد نشرت الصحف اليومية صورته مصابا ، اثناء تظاهره ضد الاستعمار البريطانى ...

وذهب عبد الناصر الى كلية الحقوق ، ولكنه استطاع بعناده واصراره ، أن يعود الى المدرسة الحربية ، ويلتحق بها فى ١٧ مارس عام ١٩٣٧ ...

لقد انضم هؤلاء الفتيان الى المدرسة الحربية ، وهم يمثلون بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، أو قبلها بعام ، كما ذكرت ، جيل الشباب الثورى الذى عاش فى الدرجة الاولى لواجب كان من اقدس واجبات عمره ، وهو اجلاء المحتل البريطانى عن البلاد ...

حسين الشافعي

اترك الحديث هنا للسيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية ، ليعود بالذكريات الى ٤٥ عاما مضت :

« من الاوفق أن نعود الى ما قبل ذلك ، الى عام ١٩٢٧ ، ومفاوضات تدور بين ثروت باشا رئيس الوزراء ، ومستر تشمبرلن وزير خارجية بريطانيا ، حول مشروع معاهدة ، وكان من بين بنودها التى عرفها الشعب أن يسمح ملك مصر للملك بريطانيا ضمانا لحماية خطوط المواصلات الامبراطورية البريطانية ، بأن تكون له القوات اللازمة لذلك الفرض ، مع العلم بأن وجود هذه القوات ليس معناه احتلالا ولا يمس حقوق سيادة مصر ! هكذا يقول البند ...

« وبعد عشر سنوات ينظر الطرفان المتعاقدان فى ضوء تجاربهما ، مسألة المناطق التى تعمل فيها هذه القوات ...

« ولقد فشل هذا المشروع بفضل وعى الشعب المصرى ، كما فشلت كل مشاريع وخطط الاستعمار بعد ذلك ، الذى عاد يحاول فى مفاوضات « محمد محمود ــ هندرسون » عام ١٩٢٩ ، لاقناع الشعب بان بقاء قواته فى بلاده انما هو لحماية قناة السويس ،

ولذلك نص فى مشروع هـذه المعاهدة ، على انه ضمانا لحماية قناة السويس كوسيلة اساسية للمواصلات بين أجزاء الامبراطورية الانجليزية بسمح ملك مصر لملك انجلترا بان يضع فى الاراضى المصرية وفى جهـات اتفق عليها الى شرقى خط ٣٢ شرقا القوات التى يراها ملك بريطانيا لازمة لهذا الغرض ...

« وجاء عام ١٩٣٠ ، والوزارات تتكون وتسقط ، وكل وزارة تحمل اسما ، كوزارة الحكم الصالح ، او وزارة المائة يوم ؛ وبعد خمسـة اعوام كانت الظروف الدولية تنذر بتغيرات كبيرة ليست فى صالح انجلترا ..

« ظهرت فى ايطاليـا قوة عسكرية جـديدة تهـدد وتطالب ؛ ورائحة الحرب فى المانيا النازية تزكم الانوف وفى آسيا ثورات تطالب بالاستقلال ، وفى اليابان قوة عسكرية جديدة تميل بثقلها الى جانب اعداء انجلترا ، وفى افريقيا ما ينذر بالانفجار حيث أصبح موقف ايطاليا الفاشية بالنسبة للحبشة لا يسمح بالصمت ، وفى مصر غليان وطنى جعل بريطانيا تدرك ان قوات احتلالها لن تستطيع شيئا اذا ما اشتعلت شرارة الثورة المصرية مرة اخرى ... ولذلك سمح الاستعمار باعادة « دستور ١٩٢٣ » كترضية للشعب ، وبعودة حكومة الوفـد ، وبفتح باب المفاوضات من جديد ، وكمحاولة استعمارية لامتصـاص غضب الجماهير المصرية ، أعلن عن قبول دفعة جديدة من الشـباب المصرى بالمدرسـة الحربية لتدعيم القوات المصرية ...

« ورغم ما كان يخفيه الاستعمار من اغراض ، الا

أن هذا العمل فى حـــد ذاته خاطب عواطف المصريين ووطنيتهم فتقدم اليها مئات من ابناء الشعب ، يعلمون جميعا بالذود عن حرية بلدهم ، وقبلت المدرسة لاول مرة عددا كبيرا منهم فى اكتوبر عام ١٩٣٥ ، ثم وقع الجانب المصرى مع انجلترا فى ٢٦ اغسطس عام ١٩٣٦ المعاهدة المعروفة بذلك العام ، وانقسم الرأى العام بين مؤيد لها ومعارض ، وبين من يراها مكسبا مرحليا ، ومن يراها قيـدا استعماريا جـديدا ، وبات الموقف مشحونا بالغضب الوطنى ، يهدد بريطانيا من جديد ..

« فى تلك الايام أعلنت المدرسة الحربية عن قبول دفعة جديدة من الطلبة المصريين وتركت المنصورة كما ترك كثير من الشـباب بلادهم الصغيرة ، وجاءوا الى القاهرة ، وفى رأس كل منا عشرات الافكار والاحلام ، والتحقنا بالمدرسة فى ٦ اكتوبر عام ١٩٣٦ ، وتخرجت دفعتنا فى فبراير عام ١٩٣٨ ، وفيما بين هذين العامين، التقى الكثير من الزملاء الذين يحملون نفس المشاعر والمفاهيم الوطنية وتبلورت آمال كثيرة ، ومن خلال التآلف والزمالة ، خرجت صداقات قوية بين الطلبة ، قائمة على حب مصر والتضحية من أجلها بأغلى ما نملكه ... ويكفى أن أقول انه كان بيننا « المعلم » الذى وهب حياته وفكره وجهده منذ كان طالبا بالمرحلة الثانوية ، للعمل الوطنى ، حتى انتقل الى رحاب الله فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ...

« على أية حال يمكننا ان نقول الآن ، اذا كان الاستعمار قد استهدف من فتح باب المدرسة الحربية

أمام أبناء الشعب ، الحصول على قوات مصرية شابة يستغلها فى أغراضه العسكرية ، او امتصاص غضب الجماهير الثائرة بهذا الاجراء الوقتى ، فقد عرف الشباب المصرى كيف يعمل على تحويل هذه الفرصة الى كسب وطنى ، يضيفه الى بناء بلده وهو يناضل من اجل طرد الاحتلال الرابض فوق صدره ، ذلك العمل الجليل الذى قاده الزعيم الراحل بعد ذلك ومن خلفه مجلس قيادة الثورة ، وقاعدته العريضة الشعبية التى اعطته من القوة والتأييد ما اخضع الاستعمار البريطانى ليرحل عن البلاد ويكون أول من يدخل أو يقتحم القواعد البريطانية فى القناة ، لينظم ترتيبات تسليمها الى القوات المصرية ، واحدا من شباب الوطن الذين التحقوا بالمدرسة الحربية فى أكتوبر عام ١٩٣٦ ، ولم يتوقف نضاله بعد ذلك ، ولم تضعف ارادته الثورية أمام التنكيل والارهاب الذى تعرض له بعد تخرجه فى الكلية الحربية ، وهو يعيش لهدف واحد « الحرية للوطن » حتى دخل قواعد الاستعمار البريطانى بالقناة ، منتصرا فى يوليو عام ١٩٥٤ ، موفدا من مجلس قيادة الثورة ، ذلكم هو الرئيس القائد أنور السادات » .

وفى لقاء مع السيد حافظ اسماعيل مستشار رئيس الجمهورية لشئون الامن القومى ، تحدث حول الاوضاع السياسية ــ العسكرية السائدة عام ١٩٣٥ :

« اقترن ذلك العام بأزمة الحبشة وايطاليا : وكانت الازمة تهدد الاستراتيجية الانجليزية كما اقترن بالحرب الاهلية فى اسبانيا ، وبتهديدات النازية فى المانيا ، وربما كانت انجلترا تتوقع مواجهة ازمة دولية نتيجة هذه الاعتبارات مجتمعة ، وربما جعلها هذا التوقع تتصور دورا للجيش المصرى وقد تدعم بضباط من الشباب ، يخدم مصالحها فى اى ازمة مقبلة بعد ذلك فجعلها تفتح باب القبول بالمدرسة الحربية فى نهاية عام ١٩٣٥ ، ثم فى اكتوبر عام ١٩٣٦ ، ثم فى يناير ، فمارس عام ١٩٣٧ ...

«لم تكن المدرسة الحربية نقطة اجتذاب للارستقراطية المصرية ، ربما دخلها واحد ، او اثنان من الاسرة المالكة ، بينما كان الاقبال عليها من الطبقات المتوسطة والشعبية ...

***

وفى يوليو عام ١٩٣٧ ، اختارت لندن اربعة من الطلبة المتفوقين بالمدرسة لبعثة مدفعية فى انجلترا

من بينهم السيد حافظ اسماعيل ، والسيد نور الدين قرة ، وزير التموين السابق ، حيث قضوا هناك عامين ثم عاد حافظ اسماعيل ليخدم برتبة ملازم ثان فى مرسى مطروح ... « فى تلك الايام حاول الانجليز استغلال القصر الملكى فى سحب الأسلحة من ضباط الجيش المصرى ... وكان لهذا الاجراء اثر سيىء على نفوسنا ، واذكر اننا بقيادة السيد أحمد حسن الفقى سفيرنا السابق فى لندن رفضنا التسليم فأعادونا الى القاهرة ، وما لبثت أن عدت الى الصحراء الغربية ضمن وحدة خفيفة الحركة من السوارى والمدفعية لحماية خطوط المواصلات الانجليزية حتى السلوم ... وكانت القوات البريطانية قد زحفت حتى سيدى برانى ... »

انتقل الضابط حافظ اسماعيل بعد ذلك الى سيوه ، فالواحات البحرية ثم وادى حلفا عام ١٩٤١ لحماية ما يطلق عليه عسكريا « رأس السكة الحديد » ...

« بعد ذلك التحقت بكلية أركان حرب عام ١٩٤٥ ، وفى بداية عام ١٩٤٨ ، سافرت لدراسة أركان حرب فى انجلترا ، فقامت الجولة الاولى فى فلسطين ، وطلبت السماح لى بالعودة فرفض طلبى ، ولكنى عدت فى ديسمبر عام ١٩٤٨ ، الى القاهرة ، وعملت مدرسا بكلية أركان حرب ، ثم حدث أن كان العدو الاسرائيلى يعد هجوما كبيرا على منطقة النقب ، فأغلقنا الكلية ، وذهبنا جميعا الى العريش لتنظيم الدفاع عن المدينة حين حاول العدو احتلالها ، وقضينا على هجوم اسرائيل فى جنوب العريش ، ثم انتقلنا للعمليات فى

رفح ، وانتهت بفشل متكرر للهجمات الاسرائيلية من اجل الاستيلاء على المدينة ...

« عدت بعد ذلك الى كلية اركان حرب حتى نهاية عام ١٩٥١ ، حيث كان الزعيم الراحل يعمل مدرسا بالكلية ، ثم عينت مساعد ملحق عسكرى فى واشنطن، وظللت هناك حتى ابريل عام ١٩٥٣ ، ومنذ ذلك التاريخ وأنا أعمل بمكتب القائد العام للقوات المسلحة ، حتى سبتمبر عام ١٩٦٠ » .

***

كان اللواء حافظ اسماعيل قد اصطدم بالفساد الذى زحف بطيئا الى القيادة العامة فى ذلك الوقت ، فعملت بعض العناصر على ابعاده ، ولكن الزعيم الراحل اختار له منصب وكيل وزارة الخارجية المصرية الذى ظل به حتى يونيو عام ١٩٦٤ ، ثم عمل سفيرا لمصر فى لندن فايطاليا وفرنسا ، وفى مارس عام ١٩٧٠ ، اختاره القائد الخالد مديرا للمخابرات العامة ، وظل بها حتى نوفمبر عام ١٩٧٠ ، ليعمل بعد ذلك وزيرا برئاسة الوزارة ، ثم وزيرا للدولة للشئون الخارجية ، ثم مستشارا لرئيس الجمهورية لشئون الامن القومى .

جمال عسكر

اللقاء الثالث كان مع الفريق جمال عسكر رئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، واحد ضباط الدفعة التى التحقت بالمدرسة الحربية عام ١٩٣٦

« كان عمري وقتها ١٦ عاما ونصف عام ، ولكن وعينا السياسي أيامها كان أكبر من اعمارنا ولذلك كنا نعيش مع الآباء أحلامهم الوطنية الكبيرة ، ومنها على سبيل المثال أن يصبح لمصر جيش وطنى مصرى قوى ، ولما فتحوا أمامنا باب القبول بالمدرسة الحربية تقدمنا وكان عددنا أكثر من مائة شاب فقبلوا ٤٤ طالبا فقط .

« فترة تحول ، يمكن ان نسميها فترة تطور نسبى ، من الاحتلال السافر الرسمى ، الى الاستقلال الاسمى ، الذى يعطى للدولة بعض السلطات السيادية ، وان كان بعضها مظهريا للغاية ... مثلا عدلوا الاسم من المدرسة الحربية الى الكلية الحربية ، ثم عادوا مرة أخرى وجعلوه المدرسة الحربية !.. وكنا نحن الطلبة ندرك هذا الموقف سياسيا وما يمكن ان يسمح به الاستعمار البريطانى من أجلنا وما يتحتم عليه ان يحرمنا منه ، من علوم ومعارف وامكانيات عسكرية ، فبذلنا كل الجهد من أجل التحصيل والدراسة ..

« وقبل ان نسترسل ، احب ان اذكر اسم الشهيد

البطل محمد وجيه خليل ، أول شهداء دفعتنا فى حرب عام ١٩٤٨ ، بالتحية لذكراه ...

« وخلال الدراسة ، اكتشفنا ان معاهدة عام ١٩٣٦ لم تكن غير ستار يخفى أغراض الاستعمار وسيطرته ؛ فسيطرت علينا فكرة تكوين جيش مصرى بدم جديد ، وقيادة جديدة لم تتلوث بخدمة الانجليز واحتلالهم لبلادنا ..

« كلمة حق يجب أن تقال ... اذا كان هناك مصدر لانتشار الوعى السياسى بين دفعتنا ؛ أو بين دفعة مارس عام ١٩٣٧ ، فلم يكن ذلك غير القائد الراحل جمال عبد الناصر ، وزميله الرئيس أنور السادات ؛ كنا نشعر بأن ادراكهما السياسى لامور كثيرة اكبر من أجتهاداتنا ، ولذلك تعودنا الاستماع اليهما كأشقاء كبار وليس كزملاء دفعة ، فأحاديثهما دائما جادة ترفع من معنوياتنا ، وتنشر فينا الاحساس المبكر بالرجولة ، كما كان سلوكهما مثار تقديرنا ، وكل منهما كان حريصا على تأدية فرائض الصلاة حرصه على حياته ، مما جعل القادة والمعلمين ، يعاملونهما بتقدير خاص طوال فترة الدراسة ...

« وكنت كزميل دفعة للرئيس السادات ، أرى كراهيته للاستعمار واضحة فى سلوكه ، وتصرفاته دائما ، نابعة من مشاعره الوطنية ، فنعمل على تأييده ايمانا منا بما تحمله هذه الشخصية ، من رقى وارتفاع فوق الصغائر والتفاهات ...

« كان يعتنى دائما بمظهره ، ويطلب منا تقليده ، وكثيرا ما سمعته يقول :

ـ المظهر النظيف يعطيك احساسا بالقوة والنشاط ، ويمكن أن تكون فقيرا جدا ، ونظيفا جدا فى الوقت نفسه ...

« وتخرجنا ، وعملت فى سلاح الفرسان ، وعمل الرئيس السادات بسلاح المشاة ، ثم نقل بعد فترة قصيرة الى سلاح الاشارة ، وعاصرت دفعتنا فترة تحول جيشنا ، من العدم تقريبا ، الى جيش يملك معدات قليلة ! ..

« عام ١٩٤١ ، كنت قائدا لكتيبة سيارات تابعة لسلاح الحدود ، فالتقيت مرة أخرى بالرئيس السادات وكان يعمل باشارة سلاح الحدود ، وكنا نركب عادة سيارة واحدة فى طريقنا الى الجبل الاصفر ، فاجده شديد المتابعة لاخبار الحرب العالمية الثانية وتفاصيل القتال ، وكان يخرج من الحديث عن هذه الحرب الى امكانيات تحرير الوطن من الاستعمار البريطانى ، وكيفية تحقيق هذه الامكانيات ، وكان « أنور السادات» كضابط اشارة يعمل مع جميع وحدات الجيش ، لذلك عرفناه باستعداده ووعيه السياسى ، ثم باتجاهاته الثورية التى كانت تفوق مقدرة الشباب فى عمره ، وكثيرا ما كان يضع خطوطا تحت عبارات تنشرها الصحف المصرية ، ثم يناقشنا فى مضمونها ، وما تحمله من معان مختفية بين السطور ، ومدلولات هذه المعانى بالنسبة للوطن ومستقبل الايام ...

« ولقد مارس الرئيس انور السادات العمل الايجابى من اجل مصر خلال الحرب العالمية الثانية وتعرض لمطاردة

الاستعمار وتنكيل الملك وحكامه ، وكان يرسل اثنـاء اختبائه بمن يسأل عنا وعن اخبار الضبـاط والجنود الذين زاملوه ، وارتبطوا به ، وكم تأكد لنا جميعا مدى صلابته وايمانه بالعمل الثورى طوال مدة المطاردة التى عاناها ، حتى عاد الى الجيش من جديد ، وبدأ يعمل كأحد ضباط الهيئة التأسيسـية للثورة تحت قيـادة القائد الراحل جمال عبد الناصر ، وحين اذاع بيان ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، لم يكن ذلك مفاجأة لنا ، بل كانت المفاجأة تصبح كبيرة ومثيرة ، اذا لم يكن انور السادات احد الذين قاموا بالثورة ...

« لقد عاش عمره منذ صباه يحمل راسه فوق كفه ، ولا يبخل بحيـاته من اجـل الوطن لانه وهب هـذه الحياة منذ زمن بعيد من أجل مصر ، وخلاصـها ، وحريتها » ....

علي عبد الكريم

اللقاء الرابع كان مع الفريق على عبد الكريم زميل الدفعة ، ومساعد وزير الحربية الآن .. لقد سرح بالذاكرة الى عام ١٩٣٦ :

ايامها كانت المدرسة الحربية دوزا واحدا فقط ، بها ١٠٢ سرير ، وكان جنرال سبنكس يشغل منصب سردار الجيش المصري ، مثل رئيس الاركان الآن ـ وكثيرا ما زار المدرسة الحربيّة ، ليقف على أدق التفاصيل والمعلومات الخاصة بالطلبة ، وكان كبير المعلمين فى البداية ضابطا اسمه ثوريون برتبة اميرالاى ، الى جانب عدد ليس بالقليل من المدرسين العسكريين الانجليز ، عادوا الى قيادتهم بعد توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ ، وبقى معنا مدرس واحد اسمه « ماكنزى » ..

وبعد خمسة اشهر من دخولنا ، جاءت دفعة القائد الخالد جمال عبد الناصر ، وانضمت الينا ...

تخرجنا ... والتحقت باحدى كتائب المشاة بالاسكندرية ، وكان بالكتيبة مشاة المجاورة ، الرئيس أنور السادات ، ثم نقل السيد الرئيس السادات الى سلاح الاشارة ، وانتقلت الى اسوان ، ثم عملت بسلاح الحدود ثلاثة اعوام ، جبت خلالها الصحراء المصرية ، وكان هذا العمل ميدانا جديدا بالنسبة لى ، اعطاني

الخبرة ، والوقت الكافى للقراءة والاطلاع المستمر ، والقدرة على تحمل الخدمة فى الصحراء خلال تلك الفترة عديمة الامكانيات ، وكانت نوعا من العذاب أشبه بالجحيم.

معظم خدمتى بعد ذلك كانت مع القوات المتحالفة ، ثم تولينا حماية القناة حين كان الالمان يلقون بالالغام من الجو ، وبعدها عملت مدرسا بالكلية الحربية ، وتقدمت مع القائد الخالد الى كلية أركان حرب ، وكان معنا المرحوم صلاح سالم ، والمرحوم اللواء امين الشريف والفريق اول متقاعد محمد عبد المحسن مرتجى ، واللواء محسن آدريس .

بعد تخرجنا ، ذهبت الدفعة باكملها الى حرب فلسطين ، واختارنى اللواء موسى باشا لطفى مدير العمليات ، ضابطا بهيئة العمليات بالقاهرة ـ زميلا الشهيد البطل عبد المنعم رياض ، زميل الدفعة ، وعرفنا بعدها كيف استمرت حرب فلسطين ، وكيف عشناها ، لم تكن بالحرب فى تقديرات المعايير العسكرية ، ولكنها كانت فترة متناقضات ، بقدر ما كان فيها من بطولات وتضحية ، رأينا القيادات تعمل ولا صلة لها اطلاقا بالقيادات العسكرية أو المدنية ... كانت الرئاسات فى الجيش المصرى تختلف كل الاختلاف عقلا وفكرا ومناخا عن ضباط الجيش وجنوده ، ولذلك شد «عبد الناصر» اليه جميع الضباط الشرفاء ..

بعد توقيع الهدنة مع اسرائيل ، اندفع العدو الى احتلال منطقة « أم رشرش » ايلات الآن ، وقد ضرب

باتفاقية الهدنة عرض الحائط ، فقمت على رأس قوة مصرية باحتلال « جزيرة ثيران » بناء على تقرير تقدمت به ... واستمر الوجود المصرى هناك ، حتى دخلنا فى عمليات دفاعية عن مدخل الخليج ابتداء من شرم الشيخ حتى ثيران ، وكانت الدفاعات المصرية قوية مقتدرة . . ولكن تعليمات القيادة العليا جاءت بالانسحاب ! ..

***

ــ عدت مدرسا بكلية أركان حرب ، وزميلا فى هيئة التدريس للقائد الخالد ، ثم اختارونى لبعثة بكلية الاركان الانجليزية عام ١٩٥١ ، وعدت الى الوطن بعد حريق القاهرة بأيام قليلة ، فوجدت الجيش والشعب فى ثورة مكبوتة تستعد للانطلاق ، وكنت أعمل الى جانب القائد الراحل فى اعطاء الدروس الخصوصية لطلبة الكلية من الضباط ، ومعنا المهندس محمود يونس ، برتبة عقيد ، والرائد كمال الدين حسين ، ومن بين هؤلاء الطلبة ، قام عدد كبير منهم بالثورة ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ...

ــ وفى فجر ٢٣ يوليو ، كلفنا الزعيم الخالد بالواجبات ، عهد الى محمود يونس بالشئون الادارية فى الجيش ، وعهد الى بمهمة عسكرية بالعمليات ، وكان الرئيس أنور السادات هو المسئول عن الشبكات اللاسلكية فى البلاد ، وقطع الاتصال اللاسلكى بين القصور الملكية والقيادات العسكرية الملكية وتأمين اتصالات الثورة لاسلكيا منذ ليلة الثورة ...

محسن متولى

بين ضباط دفعة أعوام ١٩٣٦ ـ ١٦٣٨ ، بالمدرسة الحربية ، كان الطالبان الشقيقان محسن وسعد متولى، اللواء محسن متولى ، والفريق أول سعد متولى بعد ذلك ، وقد التحقا بالمدرسة لانهما أبناء ضابط مصرى ، وقد تولى والدهما اللواء محمد متولى باشا ، ادارة الكلية الحربية فى الاربعينات ، ولم يكن مسموحاً من قبل بدخول الاشقاء معا الى المدرسة الحربية ، بناء على تعليمات القيادة الاستعمارية فى الشرق الاوسط .

وكان اللقاء الخامس باللواء محسن متولى ، أحد وكلاء الجهاز المركزى للتنظيم والادارة الآن :

« قبل الحديث عن الدفعة وما تميزت به ، لابد من الاشارة الى الشعور الوطنى السائد وقتها ، عام ١٩٣٥ قام تجمع وطنى للأحزاب السياسية فى مصر ، لتكوين جبهة وطنية متحدة ، تستطيع أن تقف أمام مناورات الانجليز ، وتسد أمامهم طريق التحايل ، الذى خبرناه طويلا ، وكان للشباب المصرى وللطلبة بالتحديد ، طلبة المرحلة الثانوية دور رئيسي وهام فى الدعوة لهذا التجمع ، وقيام الجبهة الواحدة من بين أعضاء أحزاب الوفد ، والشعب ، والاتحاد ، والأحرار الدستوريين..

وجاءت معاهدة عام ١٩٣٦ ، وكان الوفد يعتبرها

استقلالا مشرفا ، والبعض يراها خطوة فى سبيل الاستقلال ، وكثيرون يعارضونها ويرون فيها قيدا استعماريا مقنعا .. ونتيجة ضغط هذه الظروف الوطنية ، فتح الانجليز أبواب المدرسة الحربية ، وعرفنا بعد ذلك ان لندن كانت تخطط لبناء جيش مصرى جديد ، تستخدمه فى الدفاع عن مصالحها العسكرية بعد ذلك ، وخاصة ان معاهدة عام ١٩٣٦ ، نصت على اشتراك المصريين فى الحرب اذا تعرضت الاراضى المصرية حتى ولو كان فوقها جنود انجليز ـ للهجوم وهذا الجزء لم يذكر صراحة فى المعاهدة المعلنة ، ولكنه كان اتفاقا سريا ، تم بين القيادة الانجليزية والسراى الملكية واعوانها من رؤساء الاحزاب السياسية

وفى الكلية الحربية مررنا بفترة تحول دقيقة ، لقد دخلنا المدرسة والانجليز لهم السيطرة الكاملة عليها ، وتركناها وقد اصبحت القيادة مصرية مائة فى المائة ..

كانوا يسمونها المدرسة الحربية ، ثم اطلقوا عليها « اورطة الطلبة » ثم الكلية الحربية ، واذكر ان اول مدير مصرى للكلية كان الاميرالاى على اسلام باشا ..

● يقول اللواء محسن متولى :

ـ لقد كان الجيش المصرى خلف انتصارات الانجليز فى معركة العلمين ، وهى المعركة التى غيرت مجرى الحرب العالمية الثانية وجاءت بالنصر فى النهاية ضد الالمان ...

ـ فى سبتمبر عام ١٩٣٨، كنت ضابطا لنقطة ملاحظة بمرسى مطروح وكانت القوات المصرية تحتل قطاعا

بجانب القوات البريطانية ، وحضرت ذات مساء حوارا بين المرحوم الفريق عزيز المصرى ، وكان رئيسا للأركان، وجنرال ويلسون قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط ...

سأل القائد المصرى الجنرال الانجليزى :

ـ ما هى الفوائد التى يمكن أن تحققها أى قوات تتمركز فى مرسى مطروح ؟ ..

● واجاب جنرال ويلسون :

ـ هذا وضع تكتيكى مناسب جدا ، لمواجهة تقدم الايطاليين اذا قدموا أو قدم غيرهم من ليبيا ..

ـ هذا خطأ كبير .. كيف لا تدركونه ؟ ..

وطلب الفريق المصرى أن أحضر له خرائط المواقع ، واخذ يشرح للقائد الانجليزى :

ـ ان وجود القوات فى هذا المكان » واشار رحمه الله الى الوادى القائم جنوب مرسى مطروح « الذى يبعد عن مرمى المدفعية بمرسى مطروح بأكثر من ٤ كيلومترات يجعل اى تقدم للايطاليين خلال الوادى غير معرض اطلاقا لاى تدخل من جانب وحدات مرسى مطروح ، بل ان وحدات مرسى مطروح فى النهاية ستصبح محاصرة دون أن تطلق طلقة واحدة ! ..

● وفكر الضابط الانجليزى قليلا ، ثم تساءل :

ـ وما هو اقتراحكم ؟ ..

● اشار الفريق المصرى الى الخريطة قائلا :

ـ احتلوا هنا .. فى العلمين ..

● وارسل الاقتراح المصرى الي لندن ، وعرفنا

بعد ذلك ان القيادة البريطانية انتخبت العلمين كموقع مناسب لها ...

● ولقــد عاش « الفريق المصرى » يجمع حــوله الضباط الاكفاء ، وكان يعقد لنــا اجتماعا مسـاء كل اربعاء ، ويتركنا نتكلم ، ثم يعلق هو ، وكان الرئيس السادات واحدا ممن لم يتخلفوا عن لقائه ، واذكر ان الفريق المصري طالب ذات يوم بان يكون للجيش ورش ومصانع جديدة ، وبفضل قيادته وحماسته استطعنــا انتاج عربة مصرية مدرعة ... وثارت ثائرة الانجليز ، وثار الملك ، وحورب المشروع حربا غير شريفة ، بل وصفه بعض العملاء بالانقلاب ...

ترى لو كان جيشنا قد بدأ فى تصنيع معداته واسلحته منذ عام ١٩٣٩ .. فكيف كان يبدو فى حرب عام ١٩٤٨، بل كيف كان يبدو بعد ذلك مرورا بمجزرة عام ١٩٥٥ ، فى غزة ، حتى عمليات ١٩٦٧ ..

***

● عن الاعداد للثورة ، قال اللواء محســن متولى :

« كنت قائدا لاحدى وحدات المدفعيــة ، وكانت منشورات الضباط الاحرار تصل الينا بانتظام وباساليب مختلفة ، تارة تصــل بالبريد الحربى ، وتارة بالبريد العادى ، او نجدها فوق مكاتبنا او فوق فراش نومنا فى الوحدات ، او تحت ابواب بيوتنا ، او داخل ملفات العرض فى القيادات ...

وكان الضبــاط الاحرار ، وفى مقدمتهم اعضاء مجلس قيادة الثورة ، يتابعون رد الفعل لدى الضبــاط بعيد

قراءتهم لهذه المنشورات .. كان البعض يقرؤها ويحتفظ بها ليعرضها على أصدقائه ، والبعض يسرع بها الى المخابرات الملكية ، أو يقرؤها ثم يمزقها ، ولم يكن الحكم يصدر من الضباط الاحرار على زملائهم الذين يتلقون المنشورات ، الا بعد أن يصل المنشور الثالث الى يد كل ضابط ... ساعتها وبناء على معلومات متكاملة عنه ، يفاتحونه فى أمر انضمامه الى التشكيل الثورى السرى ، أو يتجاهلون اسمه نهائيا ...

***

ومن الطرائف الجميلة ، أن بعض زملائنا من الضباط ، كانوا ينفردون بأعضاء الهيئة التأسيسية للثورة ، ويقرأون أمامهم المنشورات ، ويحاولون اقناعهم بما تطالبهم به ، وكان من بينهم من هو حسن النية الميال بطبيعته الى الثورة على الفساد ، كما كان من بينهم المجند لهذا العمل ، من عملاء مخابرات الملك ، للايقاع بالضباط الاحرار ...

ولقد ظل اللواء محسن متولى يتدرج فى مناصب المدفعية ، حتى سافر فى بعثة الى «كلية فرونز» بالاتحاد السوفييتى ، ثم تولى رئاسة أركان سلاح المدفعية ، ثم مديرا لسلاح الحدود حتى عام ١٩٦٥ ، نقل بعدها الى منصبه الادارى الحالى .

الرمالى وصلاح محسن

بين المحافظين الجدد ... التقيت بالسيد محمود ماهر الرمالى محافظ سوهاج ، وبالسيد صلاح محسن محافظ المنيا ، والاثنان زميلا دفعة ، تخرجا عام ١٩٣٨ .

ولقد رأس الفريق محمود ماهر الرمالى احدى المحاكم العسكرية التى حاكمت المسئولين عسكريا عن الهزيمة فى سيناء عام ١٩٦٧ ، وكان وقتها مديرا لسلاح المدفعية ، ثم تولى ادارة أكاديمية ناصر العليا عام ١٩٦٨ ، وظل بها حتى اختير للعمل بالحكم المحلى .

يقول الفريق الرمالى :

« لم يكن عدد الطلبة الذين التحقوا بالمدرسة الحربية يزيد على مائة طالب ، هكذا كانت التعليمات الانجليزية لا طالب زيادة عن المائة ، وقد قبلوا هذا العدد البسيط خلال ثلاثة أعوام لا خلال دفعة واحدة ! ..

وبعد توقيع معاهدة عام ١٩٣٦ ، واعادة تنظيم الجيش المصرى توسعت المدرسة فى قبول الشباب ، حتى انها قبلت فى دفعة واحدة بعد ذلك ١٥٠ طالبا .

وتمصرت بعض المواد الاساسية فى البرامج الدراسية العسكرية التى كنا ندرسها كمادة التكتيك « فن الحرب » كما أصبحت الوظائف الرئيسية فى الجيش

والمدرسة أو الـكلية ، كمناصب رئيس هيئـة اركان حرب ، وكبير المعلمين ، واقدم المعلمين العسكريين ، يشغلها مصريون ، ولـكننا فى الحقيقة كنا جميعـا فى حالة اقتناع بأن هذه المـكاسب التى حصلنـا عليهـا مظهرية أو شـكلية ، لان الـكلمـة الاخيرة فى شـكل مستقبلنا وحياتنا كانت تصدر من الانجليز ! . .

وبعد تخرجنـا عام ١٩٣٨ ، عملت ضـابطا بالآلاى الاول مدفعيـة وكان معى من الزملاء المرحوم السـيد صلاح سالم ، والسـيد حافظ اسماعيل مـستشـار رئيس الجمهورية والسفير أحمد حسن الفقى والسيد حسن صنديد وكان يعمل كضابط اشارة للآلاى . . .

***

كنا نعيش مرحلة غريبة مثيرة فى تلك الايام فالاسلحة التى فى أيدينـا لم يكن الجيش المصرى يملـكها بحق الشراء ، ولـكنه يستأجرها من الجيش البريطانى ، وليس له حق شرائها وكانت القيادة البريطانية تخطط فى اعداد الجيش المصرى ليكون بمثابة وقود لها تلقى به فى اى حرب مقبلة كبـاقى دول الكومنولث ولذلك قررت أن يحتل جيشنا مواقعه الدفاعية طبقا لهـذه الخطة فى الصحراء الغربية ، وسيوة ، ومرسى مطروح، بينما فرقة مصرية خفيفة الحركة شكلت كاحتياطى فى منطقة « القصـابة » .

ولمـا اشـتركت ايطاليا فى الحرب خلال سبتمبر عام ١٩٤٠ ، وبدأت تتقدم حتى وصلت الى مشارف مرسى مطروح ، أدت هـذه الوحدات المصرية واجباتها على الوجه الاكمل حتى صدر قرار الحكومة المصرية وكانت

برئاسة المرحوم على ماهر باشا ، بالوقوف على الحياد بين المعسكرين المتحاربين وكانت مفاجأة للندن وقيادتها العسكرية فى الشرق الاوسط ، فطلب الانجليز الينا ان نعيد اليهم اسلحتهم، خاصة الثقيلة منها ، والغريب فى الامر ان التعليمات التى صدرت من القاهرة كانت تؤيد هذا الوضع الذى رفضناه رفضا قاطعا ، وقلنا اننا لن نعود الى القاهرة الا بكامل أسلحتنا .

● وردت القيادة البريطانية علينا فى تهور وجنون بأننا محاصرون من أمام عند مرسى مطروح بالقوات البريطانية ومن الخلف بالقوات الهندية والباكستانية.. فوجهنا مدافعنا الى مخازن الذخيرة البريطانيـة وكنا نعلم مواقعها بدقة لاشتراكنا فى وضع الخطة الدفاعية عن ثلثى مرسى مطروح ، وتولى أقدم ضابط بيننا وهو السيد أحمد حسن الفقى سفيرنا السابق فى لندن ، وكان قائدا ثانيا للآلاى ، احاطة القيادة البريطانية بأننا سنضرب مخازن الذخيرة فى حالة اجبارنا على تسليم الاسلحة .

***

بعد ذلك سمعنا كضباط بالقضية التى قبض فيها بواسطة الاستعمار على السيد الرئيس أنور السادات زميل الدفعة ثم تقرر وقفه تمهيدا لمحاكمته ووضعوه تحت التحفظ بعيدا عن سلاحه الاصلى وهو سلاح الاشارة ، فقدم الينا بالآلاى ، وكنت أيامها قائدا لاحدى بطاريات الآلاى ، وظل معنا فترة من الزمن حتى تتم اجراءات المحاكمة .

وقد علمنا بعد ذلك ان المستعمر قرر اخراج السيد أنور السادات من الجيش لوطنيته وانتشار هذه الوطنية بين صفوف الضباط الذين امتلأت صدورهم بالكراهية المطلقة ، وبالعزم على الخلاص بعد حادث محاصرة الدبابات الانجليزية للقصر الملكي في ٤ فبراير المشهور واحسسنا بأن الاستعمار يهين مصر بأكملها ، لا الملك فحسب ، ولذلك توحدت مشاعر الضباط، وهم يكبتون ثورتهم ، ويخططون للعمل الايجابي حين ظهر بيننا « القائد » الذى استطاع لم الشمل وتوجيه طاقات الضباط الى الطريق الصحيح ، وقد استطاع الرئيس أنور السادات أن يعود الى الجيش ، وأن يقوم بدوره كعضو فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، حتى انطلقت شرارة الثورة ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، معلنة مولد فجر جديد على البلاد ...

***

كذلك كان الفريق صلاح محسن ضابط المشاة ، الذى قاد أهم ألوية سلاح المشاة بعد قيام الثورة مباشرة ، وكان نواة بناء الجيش المصرى الجديد ، ولذلك أطلقوا عليه لواء التجارب ، ثم تدرج فى المناصب القيادية العسكرية حتى تولى رئاسة أركان القوات البرية ، ثم اصبح مساعدا للقائد العام بعد يونيو عام ١٩٦٧ ، ثم مساعد وزير الحربية .

● قال لى الفريق صلاح محسن محافظ المنيا الآن :

« كنا نجتمع دائما كزملاء دفعة فى فبراير من كل عام ، وكان الرئيس السادات يحرص على حضور هذه

الاجتماعات وكثيرا ما كانت تتم فى بيته ، ثم توقفت هـــذه اللقاءات عام ١٩٦٧ ، وقررنا عدم الاحتفـــال بالذكرى حتى يتم النصر .

ولقد عملنا منذ البداية على تكوين رابطة لدفعتنا ، وعهدنا بادارتها الى الزميل اللواء عدلى اسحاق رمزى لاستعداده الادارى والمالى ، ولنشاطه الدائم ، ولثقة زملائه به ، انه يشغل أحد المناصب القيادية الآن فى القطاع العام ...

عدلي اسحاق رمزى

● والتقيت بسكرتير رابطة دفعة الكلية الحربية اعوام ١٩٣٦ ، ١٩٣٨ ، اللواء عدلي اسحاق رمزى ، رئيس مجلس ادارة احدى الشركات التابعة لوزارة التموين وعضو مجلس الامة الاتحادى :

« بعد تخرجنا ، عملنا على تكوين هذه الرابطة ، وكان أكثرنا حماسة لها ولتدعيمها ماليا الرئيس أنور السادات ولذلك تراس الرابطة عام ١٩٣٩ ، وكان الشهيد البطل عبد المنعم رياض نائبا للرئيس ، بينما عهد لي بسكرتيريتها ، وعلى الفور انشأنا صندوقا للزمالة يقدم المعونة المالية لزملاء الدفعة ، امام الازمات الاجتماعية الطارئة ، منذ تخرجنا ، وحتى اليوم ...

« كنا ٤٤ ضابطا ، توفى منا تسعة ، ورحل العاشر خارج البلاد ، ومن بيننا سبعة سفراء لبلادنا فى حكومات العالم ، وستة يتولون مراكز قيادية فى الدولة ، ولقد أدى كل منا دورا حاسما فى الاعداد للثورة ، ثم فى القيام بها وحملنا جميعا مسئوليات عسكرية وتنفيذية وادارية ، وخدم كل منا فى موقعه ، عسكريا أو مدنيا ، بنفس القدر من الايمان والطاقة المشتعلة اخلاصا وحبا لمصر ، التى كانت تملأ ارواحنا يوم تقدمنا الى المدرسة الحربية ، ذات صباح من شتاء عام ١٩٣٦ » .

واللواء عدلى اسحاق من مواليد القاهرة عام ١٩١٨ ، التحق بالمدرسة الحربية عام ١٩٣٦ ، ثم اشترك فى الحرب العالمية الثانية بالصحراء الغربية ، وحارب فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكان قائدا لاحدى وحدات بطارية مدافع ماكينة ، وعرف القائد الخالد فى حصار الفالوجا .. « كنت أيامها أتولى قيادة جماعة هاون ، ونعمل مع الكتيبة السادسة مشاة وكان القائد الراحل أركان حربها » وبعد عودتى التحقت بمعهد الضباط العظام ، وتركت القوات المسلحة عام ١٩٦١ ، الى القطاع العام » .

جمال سلطان

ثمة ضابط آخر ، من ضباط دفعة أعـــوام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨ ، عمل فترة طويلة بجانب زميل دفعته الشهيد البطل عبد المنعم رياض ، ثم عمــل نائبا له فى قيـادة الدفاع الجوى حتى عام ١٩٥٧ ، وسافر الاثنان الى الدراسة العسكرية فى أكاديمية فرونز السوفييتيـة ، ثم عادا سويا ، وتولى اللواء جمال سلطان قيادة الدفاع الجوى عام ١٩٥٨ ، حتى عام ١٩٦٠ ، رأس بعـدها هيئة التنظيم والادارة التابعة للقوات ، حتى عام ١٩٦٥ فتولى منصب وكيل الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، الى جانب زميل دفعته اللواء محسن متولى .

« كانت علاقات الوحدات العسكرية متقاربة دائما ، وكنا كضباط دفاع جوى نعمل كثيرا مع ضباط المشاة وضباط الاشارة ولذلك عملنا طويلا مع القائد الراحل، الرئيس السادات فى الصحراء الغربية واسوان ووادى حلفا » .

ولقد ظـل الرئيس السادات دائما صـديق زملائه الوفى ، وبفضل نشاطه الشخصى بالوحدات التى خدم بها ، ارتفعت العلاقات بين الضباط الى مستوى أفراد الأسرة الواحدة ، ذلك سر قوته الـكامن فى أعماقه »

لواء محمد ابراهيم سلامة

من مواليد السويس عام ١٩١٧ : « التحقت بالمدرسة الحربية عام ١٩٣٥ ، وعملت بعد التخرج فى الاورطة الرابعة مشاة وانضم اليها الرئيس السادات والوزير السابق حمدى عبيد ، ثم نقلت الى منقباد ، واقتربت من الزعيم الراحل هناك » .

« اذكر ان الرئيس أنور السادات تزعم حملة بيننا لكى نرفض تفتيش المستشار الانجليزى على وحداتنا الا بمرافقة ضابط مصرى له ، وتحمس أكثرنا لهذا الاقتراح ٠

وحارب اللواء محمد ابراهيم سلامة فى فلسطين ، ثم عمل بادارة الجيش حتى عام ١٩٥٢ ، وأنشأ مدرسة ضباط الصف بعد أن وضع مشروعها ، وهى أول مدرسة عسكرية مصرية تعمل فى معسكرات القنال بعد جلاء المستعمر عنها ، ثم عاد نائبا لرئيس ادارة الجيش عام ١٩٦٣ ، فنائبا لرئيس هيئة التنظيم والادارة ، فقائدا للمنطقة الشمالية العسكرية حتى نهاية عام ١٩٦٥ .

لواء عبد الله لطفى

« يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ ، كنا نحاول السيطرة على بيرلحفل ، أذكر ان اللواء احمد اسماعيل على مدير المخابرات العامة الآن كان معى ، وجمال حماد ورءوف محفوظ ويوسف الحديني أيضا ، وضابط ملازم أول اسمه « أبو زيد » كان يعمل على مدفع مضاد للطائرات استعمله فى الاشتباك مع دبابات العدو، اصاب منها اثنتين قبل أن يستشهد بقذيفة مباشرة

« كان السادات يبحث عن هذه القصص بين الوحدات العسكرية ويرددها بين ضباطه وجنوده ، وفى كل وحدة التحق بها كانت معنويات مقاتليها ترتفع الى السماء نتيجة وجوده بينهم ، وسلوكه النابع من اخلاقياته المتينة ودعامتها الايمان والتربية الاسرية ، الفنية بتقاليد ومفاهيم القرية المصرية » .

لقد سمعنا بعد تخرجه أنه اقام بمعاونة بعض زملائه مسجدا صغيرا فى سلاح الاشارة ، بامكانيات ضئيلة جدا ... وكان عمره ٢١ عاما ، وقد دفع كثيرا من ضباط السلاح الى تأدية الصلاة ، وحين صار « بعضنا » برتبة لواء ، اعترفنا بان أنور السادات هو الذى قادنا الى حظيرة الايمان » .

لواء على البورينى

كان يخدم فى غزة حتى عام ١٩٥٠ ، وهناك التقى مرة أخرى بزميل الدفعة النقيب أنور السادات ، ثم نقل « البورينى » الى القاهرة حيث انضم الى احدى كتائب سلاح المشاة – التى اشتركت فى ثورة ٢٣ يوليو داخل العاصمة ، ثم سافر بعد يومين الى الاسكندرية واشترك فى حصار قصر راس التين حتى تنازل الملك عن العرش ...

« رايت السادات فى القاهرة والاسكندرية طوال الايام الاربعة من ٢٣ يوليو حتى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ ، كتلة نشاط هائلة ـ وعقل مرتب وتصرفات هادئة فى تلك الايام بالغة الحساسية والخطورة ، ولقد استطاع بفضل دقته وتخطيطه الذى اعده منذ عام ١٩٥١ ، لدوره وواجبه ليلة الثورة ، وعلاقته الطيبة بالجميع ان يسيطر على شبكات اللاسلكى عبر القاهرة والاسكندرية ، وخاصة بين وحدات الجيش ، ثم المرافق الحكومية الهامة ... »

« وبعد خروج فاروق من البلاد وفى منتصف ليلة ٢٧ يوليو عام ١٩٥٢ ، نام السادات لاول مرة منذ صباح ٢١ يوليو فى ثكنات مصطفى كامل ببدلته العسكرية ـ ثم عاد للقاهرة مع أول ضوء لتبدأ مسيرة الثورة ويؤدى دوره المعروف ... »

عميد حنا توفيق

من مواليد القاهرة عام ١٩١٤ : « التحقت بالمدرسة الحربية عام ١٩٣٤ ، وفؤاد أخى لحق بى عام ١٩٣٦ ، ومات مريضا عام ١٩٣٨ » .

« كنت ضابطا للاشارة لمدة ٤ أعوام ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتسلم منى الرئيس أنور السادات فى العلمين ، وعدت لسلاح المشاة ، ومنذ عام ١٩٤٩ ، حتى عام ١٩٥٢ ، كنت مدرسا بالكلية الحربية . وكان ثمة طريق مهجور يؤدى الى الكلية ، يستعمله القائد الراحل فى لقاءاته السرية بالضباط الاحرار ، بعد أن يجرى معهم مكالمة تليفونية عادية ، يفهمون بعدها ان القائد فى انتظارهم فيأتون اليه على الفور ...

لقد تعلمنا من « النقيب أنور السادات » الضابط بسلاح الاشارة ، كيف تحمى كرامة الضابط المصرى أمام تصرفات القادة الانجليز ، كالتعالى والغطرسة ، واظهارنا بمظهر العاجزين ، وكان الضباط الانجليز يخشون وجوده ، فاذا ظهر بينهم تبدلت معاملاتهم لنا تماما ، وانطوت على الاحترام والانصياع لاوامره ، ولم يكن يقبل أن يفرط لحظة واحدة فى حقوقه ومبادئه ، حتى خلال معارك الحرب العالمية الثانية التى اشترك فيها بالصحراء الغربية » .

عميد أحمد نورالدين

من مواليد القاهرة عام ١٩١٩ ، خدم فى سلاح المشاة ، ثم فى سلاح المهمات ، وكان نائبا لمدير السلاح عام ١٩٥٢ ، من أنشط ضباط دفعة الرئيس انور السادات كعضو فى الرابطة .

« اجتماعاتنا كانت سنوية بشكل رسمى ، واسبوعية بشكل طبيعى ، ومنذ عام ١٩٣٩ ، لم يتوقف لقاء زملاء الدفعة ، حتى عام ١٩٦٧ ، يومها قررنا أن يكون لقاؤنا الجديد بعد النصر ...

قبل الثورة ، وأيام كان مطاردا ، كان هو الذى يبحث عنا ليطمئن علينا ، ان لم يكن بالاتصال الشخصى — فعن طريق البريد ، وكان هذا الاهتمام بنا وهو الذى يطارد من الاستعمار والسراى الملكية ، يترك فينا أكبر الاثر ، ولذلك كنا حين نجتمع كل عام كدفعة واحدة ، نتحدث عنه ونبحث فيما يستطيع كل منا أن نعاون به حتى عاد الى الجيش ، فاخذنا نجتمع فى بيته ، وحتى قيام الثورة وطوال خمسة عشر عاما ، بعد ذلك كان لقاؤنا السنوى فى بيته ، وفى ظل رعايته ووفائه » ..

الفكر الثورى للضباط الأحرار

« ١٩٣٨ — ١٩٤٠ »

فى أوراقه الخاصة ، كتب أنور السادات الكثير من اليوميات ، سجل فيها ذكريات الأيام الاولى فى لقاءات الثوار ، بعد تخرجهم فى المدرسة الحربية وتوزيعهم على وحدات الجيش ، وهى ذكريات تلقى الضوء على ميلاد الفكر الثورى للضباط الاحرار ، وكيف تولد هذا الفكر ابنا شرعيا للحركات الشعبية الوطنية منذ ثورة عام ١٩١٩ ، ثم تحويل هذا الفكر الى واقع حتى مع منتصف ليلة ٢٣ يوليو ..

يقول الرئيس السادات :

ـ لقد نشأت هذه الثورة نشأة طبيعية ونما التمهيد لها نموا طبيعيا ، لانها كانت فى كل مراحلها تفاعلا طبيعيا قويا بين ضمير جيش مصر وضمير شعبها الثائر

ولنرجع الى الوراء ، الى عام ١٩٣٨ ، ولنذهب الى منقباد ...

فى هذه البيئة المصرية الخالصة ، حيث يشعر المصرى بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه وفى الشتاء حين يقسو الجو ، وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الأصدقاء ، يقاومون بها قسوة الطبيعة ، وينتصرون بها على عواء الرياح ... هناك حول نار صغيرة فى معسكر المناورات بتباب الشريف كنا نقضى طرفا من

كل ليلة ، أصدقاء كلهم صغار السن ، صغار المناصب كبار الآمال وافرو الشباب ، ضباط لم تزد رتبة أحدنا عن الملازم ثان ، نحترق طول النهار فى الجبل ، فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .. وفى جو الصداقة والزمالة والالفة ، كنا نجلس فنمرح لنذيب فى هذا المرح شقاء النفس وكان يتوسطنا دائما شاب رقيق وديع عامر النفس بالصفاء ، لا يكبرنا سنا ولا رتبة ، ولكنه كان الملتقى الذى جمع صداقتنا ، وكان يفكر بقلبه ووعيه ولا نكاد ننطلق فى المرح حتى نجد موضوعا هادئا يثيره بيننا هذا الزميل ، جمال عبد الناصر ... ربما كان موضوعا شخصيا ، وربما كان موضوعا عاما ، وربما كان ذكريات عابرة ، فلا يلبث ان يستنبط منها فكرة او رايا يثير بيننا مناقشة طويلة هادئة ..

كان هذا الصديق الزميل صورة حلوة للاخاء والصداقة والاتزان والحياء والكرامة ، فاستاثر باحترامنا جميعا وكأنه المعنى المجسم الحى لكل المعانى الكريمة والعواطف الانسانية ..

وهكذا ، وحول هذا الرجل ، التقت مجموعة من الضباط الصغار الاصدقاء لم يكن احد يدرى انها ستكون نواة لمجموعة أكبر وأكبر ، وان اجتماعها فى تلك التباب البعيدة لن يكون مجرد صدفة تمر ويفترق الاصدقاء ، وانما سيكون البدء الحقيقى لجهاد عنيف ومحن كثيرة وعمل خطير ..

واشتدت الصلات بين كل منا وبين المجموعة الكاملة ،

حتى أصبح كل منا يفكر بعقلية الـكل واصبح من حق كل منا ان يتصرف باسـم الجماعة واصـبحت هـذه الجماعة يوما بعد يوم فيدا جديدا لتصرفاتنا لان كل عمل يأتيه فرد منا سينسـب الى الجماعة شاءت أم لم تشا ، علمت بالامر ام لم تعلم ! ..

وأمام المشاكل التى كانت تعترضنا ، وحياة قادتنـا الـكبار وخضوعهم لاصغر الضباط الانجليز وشراستهم معنا ، وفرضهم علينا تقاليد لمعاملتهم وكأنهم سلاطين،

امام كل هذا أخذنا نفكر طويلا كل ليلة ، حتى قال جمال عبد الناصر :

ــ انهم الانجليز .. اصل بلائنا ..

وكانت مفتاح تفكير طويل ، لم يلبث أن أصبح خطي عمليه متتابعة ...

كنا جميعا نعلم ذلك ، نعلم ان الانجليز أصل البلاء ، ونكره استعمارهم لبلادنا ، ولـكن هذه الجملة من جمال عبد الناصر كانت بمثابة تحديد لواجب ، تحديد لرسالة لا ينبغى لاحد أن يتخلى عنها ..

وشهدت « تباب الشريف » والنـار الموقدة عليهـا عهدا مقدسا ربط بين هذه المجموعة الصغيرة من الشباب الصغير ...

لم يربطهم بعمـل معين ، ولا بزمن محدد ، ولـكن ربطهم بفكرة الحياة ..

واخذنا نجمع حولنا أنصارا لفكرة الحياة ، كل منا يختبر عددا من الضـباط الآخرين ، ويكون فى محيطه خلية صغيرة يثير فيها هذه الفكرة ويرى مدى استعدادها

للعمل يوم يأتى وقت العمل ..

وبدأنا نخطو الخطوة الاولى فنحسب لها حسابا ، ونلقى الكلمة فنفكر قبل القائها مرتين ..

بدأنا ننزع من أعماقنا زهو الشباب ، ونحل فيها الشعور بالمسئولية والاقتصاد فى الامل .. لقد قتل جمال فينا المرح ، وكنا فى شرخ الشباب ! !

وجاء الدرس الاول الذى أفدناه بعد ذلك فاصبح درس حياتنا ...

فقد مرت أيام قليلة .. كنا فيها لا نزال فى فترة تكويننا الاولى .. واذا بالشىء الذى نسيناه جميعا يقع وكنا خليقين بتوقعه فان ضابط الجيش لا يستقر فى مكان واحد طويلا .. وان هى الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا .. واحد فى الاسكندرية ، والثانى فى طنطا ، والثالث فى القاهرة .. والرابع فى مرسى مطروح ...

وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت .. والاعصاب توترت ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح ..

وافترقنا ...

ولكن الحلم لم يذب ... والفرقة لم تستطع ان تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف التى حلت بها ...

وفهمنا مع مرور الايام هذا الدرس ، وهو ان الصداقة القوية عندما تقوم على نقاء وطهر ، وعندما

لتركز ايضا حول فكرة فانها قادرة على الحياة مهما فرقت الحياة بين الاصدقاء ، بل هى أكثر من ذلك ، تستطيع وحدها صنع المعجزات ..

والذى وقع بعد تلك الايام ، هو الاثر القوى لهذه الصداقة النقية التى ربطتنا .. فقد فرقت بيننا الظروف كثيرا ، وجمعت بيننا بعد ذلك كثيرا ...

وكنا اذ نفترق لا تفارقنا الفكرة ولا عهد الجماعة ، وكل ما هناك ان أحدنا كان يجد الفرصة للعمل ،

فيعمل ... يعمل مستقلا بارادته فى ظاهر الامر ، ولكنه فى حقيقته يكون مقيدا بارادة الجماعة المتمثلة فى فكرتها الكبيرة .. وعهدها المقدس ...

وقد تختفى من بيننا أسماء فى كثير من الاوقات ، كما اختفى اسم جمال عبد الناصر عامين كاملين ، بين ديسمبر عام ١٩٣٩ ، وديسمبر عام ١٩٤١ ، اذ كان فى هذه الفترة قد نقل الى السودان ...

ولكن الذى كان يبقى فى ميدان العمل .. كان يعمل .. يعمل بارادته ، ولكن باسم هذه المجموعة وفكرتها الاصيلة ، ويعمل بارادته ، ولكنه يرجع الى من يستطيع الرجوع اليه من جماعتنا .. فى كل فرصة تواتيه لذلك .

ولم تعد الايام تمر هينة ولا رفيقة ، فقد بدات احداث كثيرة تقع ...

بدات بالحادث الاول عام ١٩٤٠ ، وكان ميدانه ميدان القتال فى مرسى مطروح ..

كنا قد نقلنا جميعا من منقباد ، وتفرقت جماعتنا

بين وحدات الجيش فى مختلف انحاء البلاد ... وبين السودان العزيز ...

وقد كان السودان من نصيب جمال عبد الناصر ، فقد نقل من منقباد الى امبابة .. وبعد شهر واحد ، نقل الى العلمين ، وقضى هناك أربعة شهور ، ثم نقل مرة اخرى الى ابى زعبل ، ومنها الى السودان ...

وفى فترة تنقلات « جمال » جمع على الفكرة عددا آخر من الضباط ... وكنا نحن أيضا نصنع مثل هذا

ولم تكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل؟ لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا فى تخليص البلاد من جنود الانجليز ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا .. واحتلوا جميع قواعدنا وطرق مواصلاتنا ... بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا ..

وسنحت أول فرصة لنا فى مرسى مطروح .. ولكنها كانت فرصة مفاجئة لم نستطع أن نحقق منها هدفا كبيرا ... واستطاعت هى أن تكشف للانجليز عن وجود اتجاه عملى ضدهم فى جيش مصر ...

كانت نيران الحرب قد اقتربت كثيرا من أرضنا العزيزة .. فقد بدأت جيوش ايطاليا تغزو منطقة مرسى مطروح ..

وكان الدفاع عن هذه المنطقة منقسما بين ثلاثة قطاعات :

قطاعين بريين ، يحتلهما الجيش المصرى ، وقطاع بحرى يدافع عنه الانجليز .. كنا نحارب .. رغم ان

مصر لم تكن قد أعلنت الحرب !

وكانت سياط العذاب التى تلفعنا نحن الجنود والضباط ، تتلاحق علينا مع الليل والنهار ومع الاحداث المتعاقبة التى تمر بها البلاد ..

كان موقف الحكومة من هذه الحرب موقفا مائعا ... ولم يكن من السهل تحديده فى صورة مفهومة واضحة.

وكان من المؤكد ان هذا الموقف ان تحدد ، فلن تكون مصر هى التى تحدده على التأكيد ...

كانت سياسة مصر التى أعلنها رئيس حكومتها عند اعلان الحرب هى سياسة «تجنيب مصر ويلات الحرب»

ولم تكن الحكومة تستطيع أن ترسم لنفسها سياسة اوضح من هذه او أكثر حسما وتحديدا .. فقد كانت هناك المعاهدة .. وكانت قوات الاحتلال تملأ بلادنا ، وطائراتهم تجثم على صدور مطاراتنا وتنطلق منها الى الميادين القريبة الحافلة بالموت .. ودباباتهم تختال فى شوارعنا ومن فوقها جنود حمر الوجوه .. ومخازن ذخيرتهم ترصع أرجاء الوادى بالبارود والقنابل واسلحة الدمار .. وكانت ارضنا فوق ذلك حقلا كبيرا يشرب حبات العرق من جباه آبائنا واخوتنا ليخرجها قمحا للغاصبين ..

وكان موقفنا نحن ضباط الجيش وجنوده ، هو الموقف الضنك .. فسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » لم يكن معناها اننا لن نحارب فعلا .. وكان الذى يشقينا هو ان نسأل انفسنا نحارب من اجل من ؟

فهل كانت سياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب »

تحمل هذا المعنى واضحا وترسم خطته كاملة الى نهايتها ؟

لقد كانت تشير الى شيء ، او ترنو الى أمل .. وهذا الشيء وهذا الامل هو الذى فهمته مصر منها .. وفهمه الانجليز أيضا ..

فهمته مصر ، فحاولت أن تستبشر به ، وفهمه الانجليز ، فابرق رئيس وزرائهم « تشمبرلين » الى سفير انجلترا « كيلرن » ببرقية قصيرة حاسمة :

ــ يجب ان تستقيل حكومة على ماهر ..

وكانت هذه البرقية كأنها القضاء الذى لا يرد .. فاستقالت فعلا حكومة على ماهر ، لانها أشارت بسياستها الى شيء ، ورنت الى أمل ، وفهم الانجليز الشيء والامل ! ..

لم يكن أمر مصر اذن فى يدها ، بل كان فى أيدى الانجليز... وكنا ننظر الى المستقبل على هذا الوجه ، فلا يلبث ان يرتد الى الماضى .. الى الحرب العالمية الاولى التى سيقت فيها مواكب آبائنا مسخرين الى ميادين القتال يحفرون الخنادق ليموتوا فى أحشائها ، ويحملون الروث ليدفنوا تحت اكوامه ، ويلعقون العرق ليوفروا كئوس الشراب للانجليز ! ..

ويجلب الماضى صورا مؤلمة ، ولا يشير الى بارقة امل فى مستقبل البلاد تحت هذه الاوضاع ....

يجلب صورة الثورة المجيدة التى أشعلها الشعب عام ١٩١٩ ، فأطفأها زعماؤه يوم وصلوا الى الحكم واصبحوا احزابا .. مطايا للانجليز ...

ويجلب صورة الثورة المجيدة التى اشـــعلها الشباب عام ١٩٣٥ ، ليجمع الاحزاب فى حزب واحــد لمصر ، فاجتمعت الاحزاب فى حزب واحد ليوقع معاهـــــدة الصداقة والتحالف مع الانجليز !

وما تغير الزعمـــاء ...

ولا خرج الانجليز ...

ولـكن قامت الحرب .. وبدأت بوادر شقاء جديد

ماض كله حسرات ، ومستقبل كله مخاوف ، وحرب قائمة لابد أن نصلاها ، حتى فى ظل « سياســة تجنيب مصر ويلات الحرب » ..

وفجأة علمنا ان أوامر من قيادتنا ستصدر لنا ... بالانسحاب من القطاعين البريين لتحتلهما قوات بريطانية حتى تنفرد بريطانيا بالدفاع عن المنطقة كلها ..

والى هنا كانت الاوامر بسيطة يمكن قبولها ، ولكن الشق الاخير فيها كان يقضى بأن نترك سلاحنا ونسلمه للقوات البريطانية التى ستحتل القطاعين ..

وهاج الضـباط وماجوا ...

وتحرج الامر جدا ...

وصممنا على الا نترك ســلاحنا ، ولو اقتضى ذلك أن نموت عن آخرنا ..

وكنت أجد فى هذا الاجراء فرصة مناسبة ، لتجعل من « فكرة الحياة » حقيقة مجسمة ، يشارك فى حمل أعبائها الجيش كله ، والشعب كله أيضا ..

وكنت أعتقــد ان اى احتكاك منا بالانجليز سيقفز بفكرة الحياة مائة عام الى الامام ..

كانت قوتنا هناك قوة مختلطة ، تسمى « القوة الحقيقية » ... وكانت تتكون من خلاصة الجيش المصرى ، تضم زهرة سلاح المدفعية وبقية الاسلحة الاخرى ..

فوضعنا خطتنا على اساس أن تعود هذه القوات ، فتحتل وهى فى طريقها الى القاهرة كل المرافق العامة ، ثم تفرض حكومة على ماهر مرة أخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية ..

كنا اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، وكان على ماهر قد استقال فى شهر يوليو ، وكان الشعور القومى ضد الانجليز قد بلغ أقصى مداه فى البلاد ...

وصدرت الاوامر لنا فعلا بالانسحاب وبترك اسلحتنا ... فرفضنا ترك السلاح وتقدمنا الى القاهرة ..

ولاكثر من سبب تبين لنا ان تنفيذ هذه الخطة سيكون وبالا علينا .. فقد أدركنا على أساس تقدير الموقف ، اننا لن نستطيع ان ننجح فيها الى نهايتها .. فاكتفينا بالعودة بأسلحتنا كاملة . . واعتبرنا هذا نصرا كافيا لنا فى مرحلة جهادنا الاولى .

وعلى الرغم من كل الاحاديث التى دارت بشأن هذه الخطة والتمهيدات التى كنا قد بدأنا نقوم فعلا بها ، فان الانجليز لم يكتشفوا منها اى شىء . . ولكنهم فى الوقت نفسه ادركوا سيطرة روح العداء لهم على ضباط الجيش الصغار . . وايقنوا ان هذه الروح قد تلعب دورا أخطر من ذلك الدور فى يوم قريب .

وبدأنا نحن نكون هدفا لعيون الانجليز حيثما كنا . .

فى القاهرة أوفى اى سلاح من أسلحة الجيش ننقل اليه .

والكسب الاكبر الذى كسبناه من هذه الحادثة ، هو عودتنا الى القاهرة فقد جمعتنى القاهرة فورا بجميع اصدقاء منقباد ... ما عدا جمال الذى كان لا يزال فى السودان ...

***

وفى القاهرة بدأت اجتماعاتنا تتوالى وتتركز ... واخذنا نفكر فى شيء نقوم به على اساس من الدراسة الكاملة ، وبحيث يكون توقيته الكامل فى ايدينا نحن لا فى أيدى الظروف وحدها ..

وكان فى خيالنا رجلان .. نريد ان نتصل بهما ، وأن نشركهما معنا فى عملنا الكبير ...

على ماهر .. صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية ..

وعزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذى وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكى يقود ثورتنا ..

وحاولنا ان نتصل بعلى ماهر ، فلم نستطع ...

وحاولنا ان نتصل بعزيز المصرى ، فاستطعنا ...

الشهداء منهم ..

تحية لهم فى مواقعهم ، لصلابتهم وايمانهم ، لقد وقف الكثير منهم فى وجه الخطأ والانحراف دفاعا عن شرف العسكرية المصرية ، وظن المنحرفون انهم انتصروا على هؤلاء الشرفاء ، ولكن العكس كان هو الصحيح وكانت نهاية المفسدين قاسية أو سوداء أو خلف أسوار السجون ..

تحية للشهداء منهم ، وللذين انتقلوا الى رحاب الله للفريق أول على على عامر ، للشهيد البطل محمد وجيه خليل ، للشهيد البطل عبد الحميد أبو زيد ، تحية الى روح محيى الدين نسيم ، الى محمد على ذهنى ، الى وجيه الموجى ، الى جمال خليفة ، الى على ابو العز ، الى فؤاد نصر هندى ، الى عصام المصرى ، الى محمد كمال الدين عفيفى ، الى محمود شكرى عبد الخالق ، الى محمد عزت محمد ، الى احمد فهمى ابراهيم ، الى فيليب حنا بقطر ، الى فؤاد شكرى ، الى فؤاد توفيق حنا ، الى محمود حمدى محمود ، الى حسن عبد الوهاب ، الى شفيق معوض ، الى ابراهيم العلايلى ، الى فؤاد عفيفى ، الى جلال قريطم ، الى عدلى كفافى ، والى كل من فشلت فى العثور على قصة استشهاده ، تحية الى اسمائهم المحفورة فوق قطعة

ناصعة من تاريخ مصر العسكرى ، قطعة تحمل مئات الاسماء من شباب الوطن ، التقوا وعاشوا وقدموا أغلى التضحيات من أجل أعرض الامانى واعظمها وقادهم ذات يوم منذ عشرين عاما مضت واحد منهم ليؤسس وطن الحلم والامنية مصر الثورة ، وليتولى بعد رحيله عنا ، زميل عمره ورفيق سلاحه ، تكملة المشوار ..

الفصل الثالث

أنور السادات "٢٢٧٤"

تخرج الرئيس السادات فى فبراير عام ١٩٣٨ ، وتخرجت دفعة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى يونيو من نفس العام ، وقد ظل السادات خمسة أعوام ضابطا بالجيش ، تعرض بعدها لمحن طوبلة ، واضطهادات عديدة ، لانه ظل مؤمنا بما يدور فى راسه من افكار واحلام وطنية ، حاول تطبيقها فى وحداته العسكرية التى خدم بها ..

وفى ٧ اكتوبر عام ١٩٤٢ ، اخرجوه من الجيش المصرى وظنت السراى الملكية ، كما ظنت القيادة العسكرية البريطانية ، انها قضت على ذلك الشباب المشحون بكراهية الاحتلال والفساد بطرده من الجيش وسجنه ، وتدبير المحاكمات الجنائية له ...

ولكنه عاد مرة أخرى الى الجيش الذى وهبه حياته وآماله ..

لقد كان أنور السادات نوعا فريدا من الرجال ، بل واحدا من أولئك الذين يتميزون منذ صباهم بخاصيات بشرية منفردة بين أقرانهم من أصحاب الاعمار المتقاربة أو الثقافات المتجانسة أو ابناء البيئة الواحدة ويشعر المرء « والحديث هنا لاكثر من رجل اقترب منه خلال نصف قرن مضى » حين يلتقى به انه أمام

نسيج بشرى ذى تماسك صلب ، مصر تملأ وجدانه وطموحه ، ارادة بشرية مختلفة ، بل عجينة ثورية مختلفة عمن سبقها من أصحابها الثوار ..

لقد ظل مشحونا دائما بطاقة ضخمة من ذلك النشاط العقلى المتمرس بالتطبيق العملى ، مالكا لرصيد من التجربة المنوعة ، وثروة حصينة من الايمان تحمى روحه ومعنوياته فلا يتطرق الشك الى احكامه او قراراته على الاطلاق ... وربما وهذا هو الارجح تلك هى الثروة التى اعطته ذلك الاحساس المركز طوال حياته بالنفور من السلوك المعوج واللجوء الى الحق والوضوح والعمل المشروع ، مما جعل اقتداره الشخصى يتجاوز به موجات المشاكل والازمات ، بل المحن والأخطار التى اعترضته ، وظلت تتهدده طوال أعوام النضال الاول — وما اقساها ، وما اغناها ، وما اعقدها من ايام ! ..

تخرج الرئيس السادات والتحق بسلاح المشاة ، وذهب الى منقباد ، وهناك التقى مرة ثانية بالقائد الخالد جمال عبد الناصر ، بعد لقائهما الاول بالكلية الحربية ..

ونقل السادات الى سلاح الاشارة التى كان يهواها ، ولم يتخل عن واجبه الوطنى كشاب مصرى أقسم أن ينتزع تحرير وطنه ، فتعرض للارهاب من المستعمر ، والملك ، نكلوا به ، سجنوه ، فصلوه من الجيش ، طاردوه ، ولم يهتز ايمانه ، كان أقوى من سلسلة الارهاب التى حاولوا تقييده بها ، وظل منذ خرج من الجيش فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٢ ، يفكر ويعمل من أجل

العودة للجيش حتى استطاع بفضل صموده ، وايمانه بالعسكرية المصرية ووقوف الشرفاء الى جانبه ، أن يعود الى القوات المسلحة فى ١٥ يناير عام ١٩٥٠ ، لينضم الى رفيق الاعوام الاولى ، ويقود بجانبه ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

***

وفى هذا الفصل سنرسم صورة بالكلمة من قريب للرئيس السادات من خلال ملفه العسكرى الشخصى الذى يحمل رقم «٢٢٧٤» بين ضباط قواتنا المسلحة ، وما يضمه من وثائق واوراق وتقارير سرية ، ثم نستعرض قصة الاعوام الثمانية التى قضاها مطارداً من الملك والانجليز ، من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٥٠، وكيف جمع فى نهايتها حصيلة طيبة من المعلومات عن المنشآت العسكرية البريطانية وخاصة فى منطقة القنال حين كان يتردد على هذه المعسكرات ، كسائق نقل ، أو حمال فوق عربة نقل ، تنقل المؤن للقوات البريطانية ، وكيف استغل هذه الحصيلة من المعلومات فى خطة العمل الفدائى المسلح ، الذى قاده منذ عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ ، ضد قوات الاحتلال البريطانى باشراف الزعيم الراحل ، وكان من بين معاونى السادات ، السيد حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية حاليا ، والسيد صلاح هدايت الوزير بالوزارة الاتحادية ، كان السادات يجمع المعلومات ومعدات الهجوم ، ثم يضع الخطة ، والتهامى يقوم بالتنفيذ مع بقية الرجال ، وهدايت يعد القنابل والالغام البرية والبحرية ، كضابط تخرج فى كلية العلوم من قبل

يقول السيد حسن التهامى :

« بعـــد عودة القوات المصرية من فلســطين ، بدأنا بقيادة الزعيم الراحل نفكر فى مواجهة عسكرية مع قوات الاحتلال البريطانى ، وكان تشكيل الضباط الاحرار قد انتشر فى اســلحة الجيش ، بل فى المخابرات الحربيــة الملــكية ايضا ، ومن خــلال المخابرات كنا نمد الخطط الفدائية ضد القوات البريطانية فى معسكراتها بمنطقــة القناة ، ولم تستطع السراى الملــكية ان تكتشف من هم الذين يقفون خلف هذه العمليات ، ذلك أن ظنونها لم تكن تصل الى المخابرات الملــكية او تتخيــل وجود خلايا ثورية بداخلها !

وجاء الرئيس أنور الســادات عائدا الى الجيش عام ١٩٥٠ ، واوكل القــائد الراحــل اليه تخطيــط بعض العمليات الكبيرة والاعداد لها ، وقد استفدنا بالمعلومات التى كانت لديه عن معسـكرات الانجليــز واسرارهــا بالمنطقة ، وبدأنا العمل عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ ، واستمر الرجال يقاتلون حتى بعد قيام الثورة ، اذ حرص القائد الراحل على استمرار الـكفاح المسلح ضد المحتل حتى قررت بريطانيا الجلاء عن الوطن ..

انني اذكر من العمليات الناجحة ذات التاثير الـكبير لدى الانجليز معركة القرين ، ومعركة مرشح الميــاه ، ومعركة التل الـكبير ، وفى المعركة الاخيرة قفزت قوات مظلات انجليزية الى ارض المعركة لانقاذ ونجدة وحداتهم ونجح الهجوم المصرى وانتشر رعب هائل بين جنـــود الاحتلال البريطانى .

وكانت هناك خطة لعملية أخرى ، وهى عملية غلق القناة بواسطة تفجير لغم كبير فى سفينة انجليزية ناقلة للبترول ، واشرف على هذه العملية السيد أنور السادات وأعددنا اللغم باشراف الزميل صلاح هدايت ، بصفته خريج علوم ، وقد شغل منصب مدير مكتب الرئيس للشئون العلمية ، ثم وزارة البحث العلمى عدة اعوام ، وكان الرئيس السادات يصف اللغم بعد ان شاهده « بالتيتل » لحجمه الكبير ، وفى اليوم المقرر للعملية أفسدنا اللغم بناء على تعليمات السادات ، فقد وصل الى علمه ان السفينة القادمة سفينة ركاب ، وليست سفينة ناقلة للبترول ، وتفجير اللغم فيها اشبه بمجزرة بشرية ، ولما علم القائد الخالد بذلك ، ايد القرار وهنأ السادات عليه ..

***

وبعد قيام الثورة أمر القائد الراحل بوضع خطة طويلة للقيام بعمليات فدائية ضد المعسكرات الانجليزية وقواتها فى القنال وطبقت الخطة عام ١٩٥٣ واستمرت الى عام ١٩٥٤ ، وقد قام بها عدد كبير من الضباط الاحرار ، وعدد أكبر من المدنيين الوطنيين ، وكان للسادات والتهامى نصيب فى هذه المعارك ، التى انتهت بتوقيع اتفاقية جلاء المستعمر عن أرض الوطن..

الضباط الأحرار ومعارك القنال

ان عمليات الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فى مدن القنال خلال الاعوام ١٩٥١ ، ١٩٥٢، ثم ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، لهى صورة بارزة المعالم فى اقتدار الجماهير المصرية ، وتحولها الى رجل واحد وعقل واحد ، وذراع واحدة ، تمسك السلاح فى ارادة قوية ، وشعور عال بالمسئولية الوطنية ، ثم يقظة الى اقصى حد ، وروح جماعية لا تزعزعها المنافسات الشخصية الصغيرة ، وقد اظهر المقاتلون المدنيون منهم والعسكريون الذين قاتلوا معهم بصفاتهم الشخصية لا العسكرية ، تعطشا للقتال والتحرير ، فرض ارادتهم على المحتل الانجليزى ، وكان تعاونهم المتبادل يكتسب كل يوم طابعا متزايدا من الكفاح النشط المسلح ، ويمتد من مدينة لاخرى فى نمو سريع اضعف وهز أقوى المعسكرات البريطانية التى كانت تشكل قلب قواعدها العسكرية فى الشرق الاوسط ، مما اضطر الانجليز الى طرح قضية الجلاء عن مصر كحقيقة واقعة لا بد من التسليم بها ..

هذا التاثير المحسوس من النضال بالنيران لم يكن وليد لحظة ما بعد الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ مباشرة ، بل كان نتيجة تخطيط وتحضير قام به اقوى واشجع الرجال ، وعلى راسهم القائد الراحل، والرئيس انور

السادات ، وقد أعدوا خططهم بوحي من التصاقهم النفسي والفكرى بالقضية الوطنية وقتها ، وهى قضية انتزاع مصر لاستقلالها ، وكان العسكريون يحصلون على اجازات طويلة من وحداتهم كى يتفرغوا لتدريب الشباب على السلاح ، وحرب العصابات ، بل ان بعض الضباط كان واجبه نقل السلاح سرا لاستعماله ضد المحتل ، بدلا من تكدسه فى مخازن الجيش ! ..

ولذلك كانت اعمال الفدائيين المصريين فى منطقة القنال لا تتسم بالجرأة والبسالة فحسب ، بل بالحسابات الدقيقة والفطنة القتالية فى عمليات حرب العصابات ، وايجاد أساليب مفاجئة للقوات الانجليزية فى كل هجماتهم التى قاموا بها ، وقد دفع بعضهم روحه فداء لمعاركه ، وجزية للنصر ..

***

ان العودة الى الوراء حتى عام ١٩٥١ ، ستعطى لنا حصيلة لاحداث ذلك العام ، والعام الذى تلاه ، تلك الاحداث التى سجلها نضال الشعب المصرى عبر تاريخه البطولى ، وهى أحداث قرأها جيل الخمسينات من خلال عرض مركز فى كتاب صغير أو استماعا لرواية تروى قلما تكون على لسان شاهد عيان ، أو فدائى اشترك فى القتال وهى عادة روايات لا تلم بكل الجوانب ، وتهتم بالضرورة بالتفاصيل الشخصية ... ولقد تصادف رغم اهمية هذه الفترة من تاريخ مصر أن تلقى اهتماما بسيطا من وسائل الأعلام ، وربما .. وهذا تبرير اقرب الى المنطق ، طغت عليها أنباء الثورة

ومسيرتها ابتداء من يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٥٢ ثم يوم اسقاط الملك ، وما تلاه من أيام مصرية بعد ذلك ، مما جعل العمل الفدائي المسلح بمنطقة القنال منذ عام ١٩٥١ في حاجة الى تأريخ صادق وحقيقي يكون مرجعا لتلك الفترة النضالية الجماهيرية العريضة امام جيل الخمسينات وما بعده من أجيال ، تاريخ لا يخضع الآن بالطبع لسيطرة الاستعمار ، أو لرغبات الملك وحكوماته التى أطلق عليها الشعب تلك الايام « أدوات الشطرنج »

لقد ترتب يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ ، من الناحية القانونية الدولية على الغاء معاهدة الصداقة والتحالف بين المملكة المصرية وبريطانيا العظمى المبرمة فى لندن يوم ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٦ ، الغاء جميع الاعفاءات والامتيازات والمعونات والتسهيلات التى كانت تقدمها الحكومات المصرية لقوات الاحتلال فى مجالات المواصلات اللاسلكية والنقل والجمارك ، وتقديم الاغذية والمعلومات الفنية والعسكرية وذلك من الناحية الرسمية ، أما الجماهير فقد اعتبرت وجود جنود بريطانيا فوق ارضها اغتصابا يتطلب طورا قويا جديدا فى مكافحته والقضاء عليه ، ولذلك امتنع عمال ومستخدمو السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم ، اذ وصلت الى ميناء بور سعيد يوم ١٣ أكتوبر ثلاث ناقلات جنود انجليز لتدعيم قواتهم المرابطة بالقنال ، ونزل منها حوالى ثلاثة آلاف من الجنود والضباط ، ولكنهم فوجئوا بعدم سير القطارات التى كان مفروضا ان تقلهم الى معسكراتهم واضطرت القيادة البريطانية الى استعمال اللوريات ،

وقد انفجر أحدها وقتل من فيه وكان هذا العمل الذى حرصت القيادة البريطانية على اخفائه بداية للنشاط الفدائى المصرى ..

وفى الموانىء المصرية رفض العمال شحن أو تفريغ السفن الانجليزية ، وقد ظل أكثر من سبع عشرة سفينة فى مياه القناة دون أن تستطيع انزال جنودها ومهماتها فى الوقت المحدد لها ، وخسرت القيادة البريطانية فى اسبوع واحد مليونين من الجنيهات نتيجة موقف العمال المصريين ..

وفى المعسكرات الانجليزية ، انسحب المصريون فى موقف جماعى رائع ، وضحوا بمرتباتهم الكبيرة ، وتوقفت الورش والمصانع والادارات المختلفة داخل هذه المعسكرات ، وهاجر هؤلاء العمال والموظفون الى الاقاليم والمدن الاخرى، ولاقوا متاعب ضخمة فى سبيل الحصول على مساكن جديدة لهم ولأسرهم ، وتحملوا الكثير من المتاعب والمشاق بكل صبر وشجاعة ، استجابة للنداء الوطنى الذى طالبهم بعدم التعاون مع قوات الاحتلال.

وقد اثبت هذا الاضراب الجماعى من عمال مصر ، ان قاعدة القنال لم تعد بالارض التى كان يستعمرها الانجليز فى هدوء واستقرار ، كما كان له أكبر الاثر لدى شعوب العالم التى تعاطفت مع جماهيرنا بعد ان أعلنت استعدادها للتضحية والوقوف وقفة رجل واحد من أجل تحرير أرضها ..

وكذلك أضرب المتعهدون والموردون الذين كانوا يمدون القوات البريطانية بمواد التموين عن توريد ما

تعاقدوا عليه من قبل ، واضطر الانجليز الى استيراد احتياجاتهم الغذائية من الخارج نقلا بالطائرات والسفن

وفى يوم ١٦ اكتوبر عام ١٩٥١ ، قامت أول مظاهرة شعبية بالاسماعيلية فاصطدمت بدوريات الانجليز الراكبة المسلحة بالمدافع الرشاشة ، ودار قتال فى بعض الشوارع واستشهد سبعة من رجالنا ، واصيب كثيرون ، واحتلت القوات البريطانية المدينة ، واخذت فى تفتيش السيارات والقطارات القادمة والخارجة من والى الاسماعيلية ، وكان احتلال شوارع المدينة بداية للعمليات الفدائية المسلحة ذات المهام المتعددة ..

فى نفس اليوم تكرر قيام المظاهرات فى مدينة بور سعيد ، وهاجم السكان مخازن البحرية البريطانية واشعلوا فيها النيران ، ووقع قتال عنيف بين الجانبين، واستشهد خمسة من ابناء بور سعيد ..

وفى اليوم التالى دارت معركة اخرى امام كوبرى الفردان ، وكان فى حماية قوات مصرية ، واستشهد جنديان من المدافعين عن الكوبرى ، وسقط للانجليز عدد لا بأس به من القتلى ، قبل أن يحتلوا الكوبرى.

وكان كوبرى « الفردان » هو الوسيلة البرية الموصلة بطريق السكة الحديدية بين مصر وسيناء عبر قناة السويس ، وفوقه تمر القطارات فى طريقها الى مواقع القوات المصرية فى العريش ، وغزة ، وسيناء ، وقد ارادت القيادة الانجليزية عزل القوات المصرية عن جماهيرها الشعبية ... ولم تكن تدرى ان بداخل القاهرة كثيرا من الضباط المصريين الوطنيين الذين

اخذوا منذ اللحظة الاولى فى القيام بواجباتهم الفدائية الانتحارية ، وعلى راسهم الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والقائد الرئيس انور السادات ..

***

كانت خطة الانجليز التى اعدوها لمواجهة الكفاح الشعبى المسلح هى احتلال جميع الاماكن الهامة فى مدن القناة ، وعزلها عن القطر المصرى ، ومقاومة المصريين بقدر كبير من النيران والقوات التى نصبت مدافعها الرشاشة فوق أسطح البيوت والعمارات المغتصبة ، كما تدفقت امدادات انجليزية هائلة من البحر الابيض والبحر الأحمر ، بالجنود والعتاد .. ولكن هذا الاستعداد لم يفعل شيئا سوى تدعيم نشاط كتائب الفدائيين ، وتنظيم عملياتهم الهجومية ، واحراز عنصر المفاجأة في كل خطة قاموا بتنفيذها ..

كانت كتائب الفدائيين او كتائب التحرير قد بدات فى التكوين بالقاهرة ، وبعض المحافظات ، بل والمناطق الريفية القريبة من مدن القناة ، لتتلقى تدريبا عنيفا فى الشرقية والبحيرة ، وقد اختار عبد الناصر والسادات وزملاؤهما عددا من رفاق السلاح لتدريب افراد الكتائب وكان واجبهم هو اعداد بيانات التدريب حسب شكل الهجوم المختلف من مكان لآخر واحتياجات هذا الهجوم من نوعيات القتال ، ثم الاشراف على ارتفاع مستوى التدريب ضمانا لتحقيق اقل قدر من الخسائر في الارواح ، وكان يعاونهما كثير من رجال الشرطة ، ممن عرفوا السادات وهو يعمل فوق سيارات النقل داخل

المنطقــة قبــل عودته للجيش ، أيام كان مطــاردا من الانجليز والملك ، وبعضـهم عمل عينا واذنا له فى قلب المعسكرات البريطانية وظل القائد الرئيس الســادات حريصا على مشـــــــاركتهم أفراحهم واحزانهم بعد ذلك تشده اليهم دائما اثرى الصداقات واغلى الذكريات ..

ولقد جاء المرحوم الفريق عزيز المصرى بدعوة من عبد الناصر والسادات ، للاشراف على تدريب كتائب الفــدائيين ، وكان لوجوده بينهم اكبــر الاثر فى رفع معنوياتهم وشحنهم بروح القتال حتى التضحية بالروح، تلك المعنويات العالية التى كانت خلف نجاح عملياتهم الانتحارية حين قاموا بها هجوما على معســـــــكرات الانجليز ، ومراكز تجمعاتهم ، ولعب عامل المفاجأة دورا هاما فى سيطرة الفدائيين المصريين على ارض الهجوم .

فى ذلك الوقت وقفت الحكومة المصرية موقفا مخزيا حين انكرت على المرحوم عزيز المصرى ، وضباط الجيش حق تدريب الـكتائب الجماهيرية ، واصدرت فى نهاية نوفمبر عام ١٩٥١ ، بيانا من مجلس الوزراء قالت فيه « انها لن تسمح لاى هيئة أو فرد بتدريب الـكتائب او بجمع الاموال اللازمة لذلك ، وانها ـ اى الحكومة ـ ستتولى هذه المهمة وفقا لنظام تضعه هى » ..

واستندت فى تبرير اصدار هـذا البيــان الى قيام بعض الخطرين على الامن العام بالاندساس بين صــفوف الفدائيين ، مستغلين حمل السـلاح بدون ترخيص ، لاستعماله فى الارهاب والاعتداء على النفس والمال ضد المواطنين ! ..

ولم يحدث بعد ذلك أن أقدمت الحكومة المصرية على اى خطوة جدية لتدريب كتائب التحرير ... كل ما أصدرته هو عدة قرارات ، باعتماد مبالغ وهمية وبتكوين لجنة وهمية أيضا ، تقوم باختيار المناطق الصالحة للتدريب ، وظلت هذه اللجنه تبحث عن الارض الملائمة ، حتى وقع حريق القاهرة وأقيلت الحكومة ! !

***

ورغم كل هذه القيود على النشاط الفدائى ، الا ان عملياتهم كان لها دوى ضخم ، وقد استولت الكتائب على كثير من اسلحة المخازن البريطانية ، ونسفوا منشآتها ، ومستودعات الوقود بها ، وفجروا الالغام فى سياراتها وخطوطها الحديدية ومواصلاتها اللاسلكية، وقتلوا عددا كبيرا من جنودهم فى هجماتهم على القوافل البريطانية نهارا ، وعلى المعسكرات ليلا ..

ومن المعارك البارزة خلال تلك الايام ، معركة الاسماعيلية يومى ١٧ ، ١٨ نوفمبر عام ١٩٥١ ، وقد اشتركت فيهما قوات بلوكات النظام « الشرطة » وصمدوا طويلا أمام نيران المصفحات الانجليزية ، وحين تطورت المعركة بانضمام الفدائيين الى بلوكات النظام ، جاءت قوات نجدة انجليزية من الدبابات ، واحتل الانجليز مبنى الاسعاف وجعلوا منه موقعا لفتح نيرانهم، وقد سقط جرحى كثيرون من الجانبين وكان عدد شهدائنا ١٣ شهيدا ، بينما بلغ عدد قتلى العدو خمسة من الضباط ، وعددا كبيرا من جنودهم ، ومئات من المصابين ، وتحدثت صحافة بريطانيا عن الخسائر التى

تلحق بقواتهـا امام تزايد قوة وصـمود وامكانيـات الفدائيين المصريين ..

وعلى اثر هذه المعركة ، طلب الجنرال « ارسكين » القائد العام للقوات البريطانية من محافظ القنال لقاءه وذلك لبحث امكانيات تهدئة الموقف ، وعرض طلباته ، فاذا بها كالآتى :

١ ــ سحب قوات البوليس من حى الافرنج بالمدينة الى ان يتم نقل العائلات البريطانية من المنطقة .

٢ ــ سحب جنود بلوكات النظام من حراسة المرافق العامة وقيام جنود الصـف الاول من البوليس بهـذا الواجب .

٣ ــ عدم ظهور الضباط والجنود المصريين بأسلحتهم فى حى الافرنج الى ان يتم ترحيل العائلات الانجليزية.

٤ ــ مقـابل ذلك ستجلو القوات البريطانيـة عن المدينة بعد ترحيل عائلاتها .

وكان واضحا من عرض هذه الطلبات مدى الخسائر التى لحقت بقوات جنـرال ارسـكين ، ولذلك وافق المحـافظ على قبولها ، ورحلت الاسر الإنجليـزية عن الإسماعيلية وغيرها من مدن القنال .

***

وفى السـويس قامت اول معاركهـا الفدائيـة فى ٣ ديسمبر عام ١٩٥١ ، وكانت معركة دامية ، اشتركت فيها عشرات السـيارات الانجليـزية المصفحة المحملة بجنود المدافع الرشاشـة ، وقام الفـدائيون ورجـال الشرطة والسكان بالشوارع العامة ، بصد الهجوم في

شجاعة وبطولة ، هى احـدى علامات الروح القتاليـة الموجودة داخل الانسان المصرى البسيط حين يتحول الى مقاتل ، وظهره الى الحائط ، وقد طبق الفدائيون خطة تكتيكية عسكرية ناجحة ، فتفرقوا الى جماعات .. جماعة تقوم بالهجوم المضاد على السيارات المصفحة فى حى الاربعين وما حوله من شوارع .. وجماعة تنتظر النجدات الانجليزية المدرعة اثنـاء خروجها من مواقع تمركزها ، بينما جماعة ثالثة تنتظر فى منتصف الطريق للقاء ما يفلت من هذه النجدات .

كانت معركة مشرفة من حيث التخطيط والتحضير الذى اعده القادة ، ومن حيث التنفيذ الدقيق المشفوع بالقتال الكاسح الحـاسم الـذى قام به الفدائيون ، وبالرغم من ان خسائرنا فى الارواح كانت كبيرة ، اذ بلغ عدد شهداء هذه المعركة ٢٨ شهيدا وشهيدة ، الا ان حجم الخسائر التى الحقناها بدبابات ومصفحات وجنود العدو كانت ترسل موجات البهجة والتفاؤل والايمان بحتمية النصر ، الى كل مواطن ومواطنة فى السويس بالدرجة الاولى ، وفى مدن القنال ، وجميـع البـلاد بالدرجة الثانية .

وفى اليوم التالى مباشرة تجدد القتال ، ففى اللحظات التى كانت الجماهير تشيع فيها شهداءنا الابطال ، فتح الانجليز رشاشاتهم على المشيعين عند كوبرى «الهويس» وظهرت الدبابات والمصفحات البريطانية ، فأسرع بعض السكان بصناديق اجساد الشهداء بعيدا ، بينما تحول الفدائيون فوق الارض وفى المنازل المحيطة بالمنطقة ،

الى جنود الاحتلال واستمر القتال عدة ساعات ، وسقط للانجليز ٢٤ قتيلا ، بين ضابط وجندي ، و ٦٧ مصابا .. بينما كان عدد شهدائنا ١٤ شهيدا ، وسيدة شهيدة اذ كان لدى الفدائيين معلومات مسبقة بمحاولة الانجليز الوحشية ، فاستعدت جماعات مختلفة الاسلحة من رجالنا وشبابنا لانتظارهم داخل البيوت ، وفى مخابىء سرية لاصطياد الدبابات ، واضطرت القوات البريطانية الى فتح مدافع دباباتها على المنازل بعد أن احترق بعض مدرعاتها .

وقد شيعت جنازات الشهداء فى اليوم التالى ، وارتفعت الاصوات تغنى « بلادى بلادى » ، وكانت نعوش الابطال ملفوفة بالعلم المصرى ، كما غنى الرجال طوال اليوم اغانى « ثورة عام ١٩١٩ » الخالدة .

وفى ١٧ ديسمبر ، وقعت معركة اخرى فى الاسماعيلية ولجأت القوات الانجليزية الى مدافع الهاون ـ بدافع الحرص على ارواح جنودها ، ولكن الفدائيين المصريين ، ومعهم بعض جنود الشرطة هاجموا جماعات الهاون فى مراكزها المختفية ، وكان قتالا بالالتحام والسلاح الأبيض .

***

وفى ٨ ديسمبر عام ١٩٥١ ، حشد الانجليز ستة آلاف جندى ، و ٢٥٠ دبابة و ٥٠٠ مصفحة ووقفت بعض السفن الانجليزية وقد صوبت مدافعها نحو السويس ، فى استعداد للرد على الفدائيين المصريين اذا هاجموهم أثناء هدم « كفر أحمد عبده ـ ١٥٦ منزلا ـ بحجة ان الكفر يقع بجوار وابور المياه الذى يزود

المعسكرات البريطانية بالمـاء ، ولأن القيادة الانجليزية تعتزم أن تمد طريقا وجسرا يصـلان بين المعسـكرات وبين وابور المياه ، مما يتطلب هدم الكفر وبيوته .

وكانت معركة خاسرة اذ حاولت كتائب التحـرير الوقوف فى وجه المعتـدين ، ولم تفلح محاولات الملك وحكومته والسفير البريطانى فى زحزحـة « جنـرال ارسكين » عن خطتـه وتوقيتها الذى حدده فى طلبـه لمحافظ السويس ، وما أن هدمت قوات بريطانيا الكفر حتى رددت الصحافة العالمية الحرة انباء المـوقعة التى وصفتها بوصمة عار فى جبين الامبراطورية التى لاتغرب عنها الشمس ، وقالت بعض الاقلام الاوروبيـة تصـف عملية هدم الـكفر بأنها صفحة سوداء جديدة فى تاريخ انجلترا .

وعقدت الحكومة المصرية عدة اجتماعات سـلبية ، واستـدعت سـفيرها فى لندن احتجاجا على تصرفات الانجليـز ، ثم ارسلت مذكرة احتجـاج الى السـفير البريطاني فى القاهرة ، وابلغت ممثلى دول العـالم بالجريمة التى وقعت فى كفر احمد عبده ، كما أصدرت بعض القرارات الانتقامية الهزلية كالاستيلاء على نادى الجزيرة للمنفعة العامة ، ونقل المكتب الهندسي المصرى من لندن الى سويسرا ! ..

فى نفس الوقت اجتمعت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار برئاسة القائد الراحل جمـال عبد الناصر ، وحضر القائد الرئيس السادات هـذا الاجتماع السرى المفاجيء وبعد دراسة تصرفات جنرال اربسكين وهدمه

للكفر الشعبى الفقير ، قرروا الرد عمليا ، وذلك بشن هجمات انتقامية موسعة ، واستمرار الكفاح المسلح على طول مدن القناة ، من السويس جنوبا حتى بورسعيد شمالا... وكانت أولى هذه المعارك ، معركة وابور المياه التى أشار اليها السيد حسن التهامى فى الصفحات السابقة ، وهى المعركة التى استمرت ٤٨ ساعة كاملة « ٣ و ٤ يناير عام ١٩٥٢ » وكان الفدائيون الذين كلفوا بالمعركة قد تلقوا خطتهم واحتمالاتها ، وذخيرتهم واسلحتهم المضادة للدبابات ، ثم تحصنوا فى « كفر سلامة ، وكفر البراجيل » وبعض المناطق المجاورة لوابور المياه ، وبدأ القتال ضد ٢٥ دبابة وأكثر من ٦٠٠ جندى انجليزى ، وخلال الاشتباك نسف الفدائيون جنوب الوابور ..

ولقد تجلت فى هذين اليومين كفاءة التخطيط المصرى لقتال الفدائيين ، كما اثبت شبابنا مقدرة هجومية عالية المستوى والكفاءة طوال فترة القتال ، حتى ان القنصل البريطانى اتصل فى نهاية يوم ٤ يناير ، طالبا من المحافظ وقف اطلاق النار من الجانب المصرى مقابل المثل من جانبهم ، وقد خسر الانجليز عددا كبيرا من ضباطهم وجنودهم الى جانب الجرحى ..

فى نفس اليوم وقعت معركة مسلحة اخرى فى أبى صوير بالاسماعيلية ، وبعد خمسة أيام وقعت معركة ثالثة فى طريق المحسمة ، واستعانت القيادة الانجليزية بنصف لواء مظلات انجليزى . وبقيت هذه القوة عدة أيام تفتش القرى الواقعة على ترعة الاسماعيلية بحثا

من الفدائيين او مخازن أسلحتهم ، وانتقموا في النهاية من الفلاحين الذين وقفوا كالصناديد يمنعون الانجليز من اقتحام بيوتهم ، ولذلك قام الفدائيون بمعركة التل الكبير التى أشار السيد حسن التهامى اليها فى مهامه وقد بدأت المعركة بنسف قطار انجليزى كان محملا بالذخيرة والجنود ، ثم انتقل الفدائيون الى الهجوم المفاجىء على القوات المعتدية التى حاولت الخروج من معسكر التل الكبير لنجدة القطار وركابه ، وخلال القتال تسللت بعض الوحدات الانجليزية لعبور الكوبرى القائم على ترعة الاسماعيلية ، فنزل أحد رجالنا الى قاع الترعة وفتح الكوبرى ، وظل فتح النيران مستمرا بين الجانبين على ضفتى الترعة ، ثم استطاع الانجليز العبور الى الضفة اليمنى ، وكان قتالا ضاريا بالالتحام ، انتهى بأمر من « جنرال أرسكين » لقواته بوقف اطلاق النار ، والعودة الى معسكرهم وقد نسف بعضه ..

وقالت الصحف الانجليزية تصف المعركة بانها من المعارك المنظمة تنظيما جيدا يشير الى وجود بعض العسكريين المصريين ممن يضعون الخطط ويرسمون العمليات للفدائيين ، ثم يدربونهم عليها قبل شن غاراتهم على قواتنا ..

وقالت أيضا : « ان الفدائيين المصريين تصدوا لثلاث مجموعات من المشاة ، والمظلات الانجليزية ، تدعمها الدبابات ، وان المصريين قاتلوا بشجاعة واحكام وتنشين جيد .. »

وقالت صحيفة أخرى : « ان الفدائيين كانوا يقاتلون

بحماس لا نستطيع ان نتجاهله ، لقد قاتلوا يوما كاملا بلا توقف ، وانتصروا فى النهاية بصمودهم وجراتهم ، ولم يركن أحدهم الى الفرار خوفا من الموت ، ان « بسالتهم » أصبح بعض القادة الانجليز بصفها بالتفوق ، بعد ان كان يطلق عليها اكاذيب مضحكة ! »

***

وجاء يوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢ ، ووقعت مجزرة الاسماعيلية ضد جنود شرطة الحكمدارية ، وقاتل رجالنا من بلوكات النظام والبوليس قتالا مشرفا رفع راس المصريين عاليا ، وواجهوا وهم الذين لايملكون غير البنادق القديمة ، دبابات ومدفعية الانجليز ـ بكل شجاعة وايمان وقد رفضوا وعددهم لايزيد على ٨٠٠ شرطى ، أن يستسلموا امام سبعة آلاف جندى انجليزى بل رفضوا ان يتوقفوا عن اطلاق النار حتى نفدت آخر طلقة لديهم ، فوقف الرأى العام العالمى ، كما وقفت شعوب العالم أمام قتالهم وتضحياتهم التى أعادت الى الاذهان بطولات العصور الاولى ، الى جانب المصريين اجلالا واكبارا ، واطلقت بعض الصحف الشريفة فى أوربا على معركة الشرطة اسم « معركة الشرف فى الاسماعيلية » ..

ثم قام الاستعمار والملك والرجعية فى البلاد بحريق القاهرة يوم ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ ، وبدات رائحة الخيانة تفوح وتنتشر ، بعد أن اعتقل الملك جميع الفدائيين ، وسمح للانجليز بالسيطرة الكاملة من جديد على مرافق وثروات مصر ، واستدار ليوجه ضربته ضد العناصر

الثورية فى الجيش المصرى... تلك العناصر التى زودت وحدات الجيش بالمنشورات الثورية السرية فى الوقت الذى كانت تشرف فيه على نشاط حركة الفدائيين إلى جانب اشتراك بعض عناصرها من الضباط كما ذكرنا من قبل فى عملياتها الهجومية ضد قوات الاحتلال البريطانى ... ومع كل هذه الواجبات ... وعيون الجواسيس الذين يعملون لحساب الملك والانجليز مفتوحة تكاد تغطى نشاط المصريين باكملهم ، كان الثوار يعقدون اجتماعاتهم باستمرار ، على مستوى الخلايا فى أسلحة الجيش او على مستوى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، خاصة بعد حريق القاهرة ، وقد جعلتهم المؤامرة الملكية ـ الاستعمارية ـ الاقطاعية ـ اكثر حذرا وتحفزا ويقظة ، فعجلوا بموعد « الخطة نصر » الى يوليو من نفس العام ، بدلا من نوفمبر عام ١٩٥٥ ..

وقام الرجال بالثورة ، ووقف الله الى جانبهم ، وكان القائد الرئيس انور السادات قد ترك « رفح » عائدا الى القاهرة ، ليؤدي دوره الثوري تلك الليلة الخالدة ، وما توقف نضاله أبدا بعد ذلك ، بل ما توقف على الاطلاق منذ يوم تخرجه ، برتبة ملازم ثان ، وقد حمل ملفه العسكرى رقم « ٢٢٧٤ » بين ملفات ضباط الجيش المصري ..

وثائق الملف العسكرى

نعود الى أوراق الملف العسكرى رقم « ٢٢٧٤ » ، فنجدها تقول ان صاحبها الملازم ثان محمد أنور السادات انضم الى الاورطة الرابعة مشـاة كضابط مشاة ، فى فبراير عام ١٩٣٨ ، بمنطقة المكس بالاسكندرية ، وظل هناك حتى يوليو من نفس العام ، فنقل الى منقباد ، وهناك التقى مرة أخرى بالزعيم الراحل جمـال عبد الناصر ، وظل السادات بمنقباد حتى أول أكتوبر عام ١٩٣٩ ، وفى اليوم التالى نقل الى سـلاح الاشارة ، وظل يخدم فى منطقـة المعـادى برتبة ملازم أول حتى اغسطس عام ١٩٤٠ ، حينما ذهب الى الصحراء الغربية بمرسى مطـروح ثم عـاد الى المعـادى فى أول سبتمبر عام ١٩٤٠ ، ويظل بها حتى ابريل عام ١٩٤١ ، فينقل مرة أخرى الى الصحراء الغربية فى ٢٥ ابريل عام ١٩٤١ ، الى ٢٧ يونيو من نفس العام ، وكان قد رقى الى رتبة ملازم أول كما ذكرت مع بداية عام ١٩٤٠ ، ونشرت الصحف اسمه بين أسماء الضباط الذين ترقوا من دفعته صباح ٨ يناير عام ١٩٤٠ ..

انضم السادات الى سلاح الحدود ، والتحق بكتيبة اشارة السلاح بالجبل الاصفر ، وبقى بها حتى ٧ أكتوبر عام ١٩٤٢ ، ليتـرك الخدمة بالقوات المسـلحة بالرغم

منه ـ تحت ضغط الاستعمار البريطانى والملك ، ويبقى بعيدا عن الجيش المصرى الى ١٥ ينـاير عام ١٩٥٠ ، حيث عاد الى سلاح الاشارة برتبة يوزباشى وكان قد حصل عليها قبل اكتوبر عام ١٩٤٢ ، فى الوقت الذى كان زملاؤه يحملون رتبة « بكباشى » ..

***

وابتداء من يناير عام ١٩٥٠ ، حتى سبتمبر من نفس العام ، ظل ضابطا للاشـارة بالقاهرة ، دخل خلالهـا امتحانين للترقى ، ونجح فيهما ، ورقى الى رتبة صاغ « رائد » وكان ذلك فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٥٠ ، وقبل ترقيته بثلاثة عشر يوما صدر له قرار نقل الى القنطرة ، وبقى بها حتى ١٠ اكتوبر ، ثم خدم بالعريش حتى نهاية مارس عام ١٩٥١ ، واخيرا فى رفح ، حيث ذهب اليها فى ابريل عام ١٩٥١ ، ورقى فى ٦ مايو عام ١٩٥١ ، الى رتبة البكباشى ، واستمر « برفح » كضابط اشارة بالفرقة الاولى مشاة حتى يوم ٢١ يوليو عام ١٩٥٢ ، حيث عاد الى القاهرة فى نصف اجازة ميدان ، وهى اربعة ايام ، ليقوم بواجبه الى جانب الزعيم الراحل فى ليلة ٢٣ يوليو الخالدة ... وكان الرئيس السادات قد ذكر فى يوليو الماضى ، أن السيد حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة قد زاره « برفح » حيث التقى به بالمطار الحربى ، وانبأه بساعة الصفر التى حددها القائد الخالد جمال عبد الناصر ، لتنفيذ الخطة نصر ، خطة ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

وكانت هنـاك معلومات اخرى قـد ابلغت للرئيس

السادات قبل أيام من وصـول السيد حسن ابراهيم اليه ، تفيد بأن موعد التحرك «سيتحدد وينفذ» خلال اسبوع ، فاستعد لذلك ، كما سنرى فى أحاديث رفاق السلاح الذين خدموا معه بالاشـارة حتى صـباح ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ ، وهو يستقل قطار غزة عائدا الى القاهرة ، للقاء الزعيم الخالد جمـال عبد النـاصر ، والقيام بالثورة ...

تقاريره السرية

ذكر الرئيس السادات فى الاوراق التى حررها بخطه لضمها الى ملفه ، انه عند بدء تخرجه فى الكلية الحربية ، واثناء دراسته العسكرية بها ، كان يسكن مع والده بالقاهرة بالمنزل رقم ١٨٣ بشارع القائد بكوبرى القبة ، وما زال الشارع قائما يحمل نفس الاسم ، وما زال البيت موجودا ، وبه الآن مدرسة القائد الخاصة ، وان وظيفة والده هى كبير كتاب القسم الطبى بالمستشفى العسكرى العام بالقاهرة ، واسمه « محمد السادات » ..

ثمة وثيقة أخرى حررها بخطه ، ويقول فيها : « انه يرغب فى دخول امتحان كلية أركان الحرب ، الدورة الثالثة عشرة ، وان اللغة الاجنبية التى يرغب الامتحان فيها هىالانجليزية — توقيع بكباشى محمد أنور السادات — آلاى اشارة الفرقة الاولى — سلاح الاشارة الملكى — رفح — فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٥١ » ..

وفى ملف الرئيس السادات عدة تقارير سرية ، وضعها قادته عن عسكريته وسلوكه ... جاء فى التقرير السرى السنوى الاول ، وهو عن المدة من ٢ نوفمبر عام ١٩٣٩ ، حتى نهاية آبريل عام ١٩٤٠ ، وكان برتبة ملازم أول :

« الحالة الصحية ـ جيدة جدا » ..

ناشىء يحترم نفسه جدا ويحترم رؤساءه ، يقدس واجبه الرسمى ويقوم به على أكمل وجه ، على جانب عظيم من الاخلاق ، هادىء الطبع ، يعمل فى صمت وسكون ، كفاءته الفنية والعسكرية تستوجب التقدير مكانته الشخصية موضع احترام زملائه ورضائى التام .. » التوقيع للقائد ..

وفى تقرير آخر عنه وضعه قائد اللواء المشاة فى ٢٢ مايو عام ١٩٤٠ ، ويبدو ان السراى الملكية كانت قد طلبت تقريرا سريعا عنه لان الفارق الزمنى بين تاريخ التقرير السابق وهو نهاية ابريل عام ١٩٤٠ ، وتاريخ هذا التقرير ٢٣ مايو عام ١٩٤٠ ، ٢٣ يوما ، لا تبرر اعداد تقرير سرى جديد عنه الا اذا كانت هناك تعليمات بذلك من وزير الدفاع أو الملك ... وفى تلك الفترة كان نشاط الملازم أول انورالسادات ضد الاحتلال البريطانى، قد بدأ يخرج عن نطاق المجموعة الخاصة من الاصدقاء والزملاء ...

يقول التقرير :

أخلاقه حسنة ، نشط ، ضابط جيد جدا ومثالى ، قدير فى فنه ، ميال للضبط والربط ، أخلاقه حسنة ، مكانته متينة بين اخوانه ..

وفى تقرير ثالث عن المدة من أول مايو عام ١٩٤٢ ، حتى نهاية سبتمبر عام ١٩٤٢ ، ويبدو ان بعض قادته شعر بأن السراى لم تعد تطمئن الى نشاط هذا الضابط الذى يعمل بالسياسة ، فوضعوا فى تقريرهم كلمات مختصرة مثل :

« ضابط مؤدب، هادىء الطباع، محترم من اخوانه، حسن المظهر والهندام ، كفاءته الفنية مرضية » ..

وكان « الرئيس أنور السادات » فى تلك الايام برتبة يوزباشي ويعمل « قائد ثان » كتيبة لاسلكى بسلاح الاشارة ، ثم قرر « الملك » تلبية لرغبة القادة الانجليز اخراجه من الجيش المصرى بدون تحقيق أو محاكمة ، ولم يكن قد حدث من قبل ان ابعد اى ضابط بهذا الاسلوب الارهابى ... حدث هذا فى ٨ أكتوبر عام ١٩٤٢ ، أي بعد كتابة التقرير السرى السابق بأسبوع واحد ، وكان ابعاده عن الجيش بداية لسلسلة من المطاردات البوليسية، والزج به الى السجون والمعتقلات .. ولم تتوقف هذه الحملة الملكية الاستعمارية ضده حتى بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية ، الى أن استطاع بفضل صموده ، ومعاونة بعض كبار الضباط الشرفاء ، العودة الى الجيش فى منتصف يناير عام ١٩٥٠ ..

ولكن ماذا كتب قائده عنه فى أول تقرير سرى ، بعد عودته ضابطا ؟ !

ذكرت هذه الكلمات : كفء ، مطيع ، مؤدب ، نبيل الاخلاق ، معلوماته الفنية جيدة ..

وفى عام ١٩٥١، جاء فى تقريره السرى عن ذلك العام : متين الاخلاق ، حسن المظهر ، شخصيته محترمة وقوية ، كفء عسكريا واداريا ، ضابط مؤدب ومطيع ، يمتاز بالرجولة الكاملة ـ توقيع : قائمقام محمود حسنى ، قائد آلاى الاشارة بالمشاة ، ثم توقيع آخر بالموافقة للأميرالاى محمد سيف ، قائد الفرقة الاولى مشاة ، تاريخ اول اغسطس عام ١٩٥١ ..

وفى آخر تقرير عسكرى وضع عنه كضابط بالجيش، ويحمل تاريخ نهاية ابريل عام ١٩٥٢ ، أى قبل قيام الثورة بثلاثة أشهر ، جاء فيه : « ان البكباشي محمد أنور السادات ، شخصية بارزة ، أبرز صفاته الوفاء ، والامانة ، والرجولة ، موضع ثقة ومحبوب جدا من مرءوسيه ، نجح نجاحا تاما فى عمله ، وحصل على ثناء قائد الفرقة ، توقيع : قائمقام حسن محمد على قائد آلاى الاشارة » ..

وفى الملف أيضا عدة شهادات نجاح بتفوق فى امتحانات فرق الشئون الادارية ، والاسلحة الصغيرة وقادة السرايا ، ولقد حصل على هذه الشهادات وهو برتبة يوزباشي ، واختصاصاته « اشارة » وكان قد قضى فور التحاقه بسلاح الاشارة فترة ليست بالقصيرة فى مدرسة الاشارة ، والتقى الاثنان مرة اخرى ، الزعيم الراحل ، والقائد الرئيس أنور السادات ، وكان الملازم جمال عبد الناصر يحصل على فرقة اشارة كضابط مشاة ، بمدرسة الاشارة وقتها ..

ومضى هذا اللقاء الطويل بينهما يصنع كبقية اللقاءات التى تلته ، حلقة جديدة من حلقات الفكر الواحد ، والمشاعر الملتحمة ، والارادة التى لا تلين ، ولا يضيع الهدف منها يوما ... ولقد حقق الرجال بالفعل تلك الاحلام الوطنية التى راودتهم ذات يوم وهم يتقدمون بأوراقهم الى المدرسة الحربية ، وعاشوا من اجلها طلبة وضباطا ، ففجروا ـ بعد ١٤ عاما حافلة بالجهد والعمل والتعبئة والارهاب المسلط عليهم ـ ثورة ٢٣ يوليو الخالدة ، وقد دخلت الآن عامها العشرين مليئة باليقين والمعارك المستمرة ، دفاعا من الحرية والحق والشرعية.

تاريخه النضالى

من المفيد لاستكمال الصورة اذا أردنا استقراء تاريخ « أنور السادات » النضالى أن نعود الى الفترة التى تقرر فيها فصله من الجيش المصرى ، بخطاب صادر من مكتب رئيس الديوان الملكى ، ما زال بملفه العسكرى حتى اليوم ، ثم مطاردته واعتقاله أكثر من مرة وتقديمه للمحاكمة الجنائية ...

كيف كان يبدو مناخ تلك الايام ، ذلك المناخ الذى دفع الاستعمار البريطانى، والسراى الملكية ، والحكومة التى تتولى الحكم ، الى محاولة التخلص من اليوزباشى محمد أنور السادات ؟ !

كانت القيادة العسكرية الانجليزية للشرق الاوسط تعانى هزائم متكررة فى الصحراء الغربية امام روميل ، فأخلى الانجليز « بنى غازى » بعد معركة خاسرة ـ يناير عام ١٩٤٢ ـ وظل الحصار الالمانى مضروبا حول « طبرق » ..

وفى ٢٦ مايو عام ١٩٤٢ ، بدأ هجوم الالمان على الجيش البريطانى الثامن يقوده «الجنرال رتشى» ودارت عدة معارك ضارية ، انتهت باستيلاء الالمان على « بير الحكيم » ٢٥ ميلا جنوبى طبرق غرب ، ثم انسحب الانجليز من « جسر الفرسان ومن الغزالة » جنوبى

طبرق فى منتصف يونيو عام ١٩٤٢ ..

وفى ٢١ يونيو سقطت طبرق واسر الالمان نحو ثلاثين الف مقاتل انجليزى ، وكان لسقوطها اثر كبير على خطط القيادة الانجليزية التى توقعت زحف الالمان حتى الاسكندرية والقاهرة ..

وفى أواخر يونيو عام ١٩٤٢ ، زحف الالمان مرة أخرى فانسحبت القوات البريطانية امامها ، اخلت مرسى مطروح ، وفوكه ، والضبعة ، وقررت الثبات بناء على نصيحة المرحوم الفريق عزيز المصرى فى منخفض القطارة وهو خط دفاعى كعنق الزجاجة بحيث يصعب على الجيش المهاجم اختراقه ..

وفى اول يوليو عام ١٩٤٢ ، اشتعلت المعارك القتالية بين الالمان والانجليز واستمرت ستة ايام وقد استطاع الجيش البريطانى ان يصمد طويلا ، رغم موقفه الحرج وخسائره الكبيرة ..

وفى اغسطس وسبتمبر عام ١٩٤٢ ، عاود «روميل» هجومه ، مما جعل القيادة الانجليزية تطرح خطة الانسحاب من العلمين الى الطريق الممتد بين الاسكندرية والقاهرة ، فى اجتماعاتها العسكرية ..

هكذا كان الموقف العسكرى الذى تعيشه القيادة البريطانية فى سبتمبر عام ١٩٤٢ ، حين طلبت من السراى التخلص من بعض الضباط المصريين المعروفين بعدائهم للانجليز حتى لا يكونوا شوكة فى ظهرها اذا اضطرتها ظروف القتال الى الانسحاب حتى القاهرة ، وقد تمللت فى تبليغها هذا الطلب الى الملك فاروق الاول،

والحكومة التى جاءت بها فى ٤ فبراير المشهور من نفس العام .. بما تتوقعه من قيام هؤلاء الضباط بنشاط قد يخدم الالمان . وطلبت أيضا اعتقال بعض العناصر المدنية المعروفة بعدائها للاستعمار ، وقليل من الاجانب الذين يعيشون بمصر ..

وللتاريخ ، لم يهتم الملك الا باليوزباشى انور السادات الذى كان يعلم الكثير عن نشاطه الوطنى داخل الجيش وخارجه ، من خلال التقارير التى يعدها جواسيسه ، فطلب فصله على الفور ، وكان أنور السادات اول ضابط مصري يفصل من الجيش بدون محاكمة جدية ، وقد تنبه أعوان الملك لذلك ، فأعدوا له الاتهامات والمحاكمات المزيفة بعد فترة قصيرة فى محاولة لاستصدار حكم قضائى شرعى باعدامه أو سجنه مدى الحياة .

***

من المفيد ايضا ان نلقى نظرة على الموقف الداخلى فى البلاد ، خلال تلك الايام التى قرروا فيها ابعاده عن الجيش المصرى ، بعد تحقيق شكلى اجراه الضباط الانجليز بمعاونة بعض الضباط المصريين ، وقد رفض « السادات » أن يقبل الوقوف أمام « هؤلاء » ، بل ورفض ان يجيب على سؤال واحد من الاسئلة التى وجهوها اليه ، ولم يعلن أمامهم غير رفضه الكامل لتشكيلهم العسكرى ..

***

كيف كانت تبدو أوضاع مصر السياسية عام ١٩٤٢ ؟

ـ لقد شهدت البلاد فى الاسبوع الاخير من يناير عام

١٩٤٢ ، مظاهرات صاخبة .. لم يعرف كما يقول « الرافعى » على وجه التحديد مصدرها ، ولكنها كانت مظاهرات جماهيرية تعبر عن ازمة التموين ، ولم يكن السكان يستطيعون الحصول على رغيف الخبز كل يوم ·· واستعاض القادرون عنه بالمكرونة والبطاطس ، وبدا من الطبيعى أن تجد الزحام الشديد والمشاجرات المستمرة امام كل مخبز ، وفى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار ، واغلقت كثير من المخابز افرانها ، كما اصبح الشاى نادرا كالذهب ومثله السكر ، وحين انفجرت الجماهير تعبر عن مطالبها فى مظاهرات مكثفة ، انما كانت تعبر ايضا عن سخطها على قوات الاحتلال البريطانى ، فترددت الهتافات : « تسقط بريطانيا » ·· الى الامام يا روميل ...

وذعرت قيادة المستعمر ، وتكهنت باحتمالات عديدة فطلبت السفارة البريطانية فى القاهرة من المرحوم حسين سرى باشا رئيس الوزراء أيامها ضرب هذه المظاهرات العدائية ، فقال لهم : ان الموقف أفلت من يده ، وامام تطور الاحداث وثورة الرأى العام المصرى قدم استقالته فى ٢ فبراير عام ١٩٤٢ ..

ولقد استغل الانجليز هذه الاستقالة فقاموا بحركتهم الجريئة وهى العملية المعروفة بحادث ٤ فبراير ، اذ حاصروا القصر الملكى فى عابدين بالدبابات والمدفعية ووجهوا انذارا الى الملك فاروق بتحمل ما يترتب من نتائج اذا لم يطلب من النحاس باشا ، تأليف الوزارة .

وخضع الملك للانذار البريطانى ، وكتب النحاس

باشا الى السفير البريطاني خطابا جاء فيه : « وليكن مفهوما يا صاحب السعادة ان الاساس الذى قبلت عليه مهمة تأليف الوزارة هو انه لا المعاهدة البريطانية المصرية ، ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وبخاصة فى تأليف الوزارات او تغييرها ! »

« وانى آمل يا صاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد يتضمن ما فى خطابى هذا من المعانى » ..

ولقد رد السفير البريطانى بقوله : « لى الشرف ان اؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم ، وانى أؤكد ان سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر من غير اى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الوزارات » !..

وعندما اذيع نص الخطابين استقبلهما الشعب المصرى بسخرية شديدة ووصف ما حدث بالمهزلة ! ..

وفى مارس عام ١٩٤٢ ، استصدرت وزارة ٤ فبراير برئاسة النحاس باشا مرسوما بحل مجلس النواب حيث اجريت الانتخابات بعد ذلك واسفرت عن اغلبية وفدية، وفعلت نفس الشيء بمجلس الشيوخ ...

يقول الرافعى :

« أول ما يؤخذ على وزارة النحاس اعوام ١٩٤٢ — ١٩٤٤ ، انها سايرت الانجليز وعاونتهم بشكل لا يتفق مع الواجبات الوطنية ، فقد سمح النحاس باشا لانصاره ان يهتفوا طويلا بحياة انجلترا فى فناء مجلس الوزراء عند قدوم السير مايلز لامبسون « لورد كيلرن » للتهنئة بالوزارة وهذا ما لم يحدث فى عهد اى وزارة من قبل ولا من بعد ! .. »

ثم اقام رئيس الوزراء حفل تكريم للسفير البريطانى بسراى الزعفران لمناسبة الانعام عليه بلقب لورد ، وتبادلا فى هذه الحفلة خطبتين اشتملتا على شتى المعانى المنافية لكرامة البلاد وعزتها » ..

***

وسيطرت السفارة البريطانية بعد ذلك على مرافق البلاد الحيوية ، كالتموين والمواصلات ، ثم طلبت سرا اعلان الاحكام العرفية فى مصر ، وكانت بداية حركة اعتقالات وتشريد واسعة فرضتها سلطات الاستعمار ، واستغلتها السراى الملكية والوزارة الحاكمة للتخلص من خصومها ... وكان « أنور السادات » الضابط الشاب الوطنى فى مقدمة أعداء الاستعمار البريطانى والنظام الملكى العميل .

مع عزيز المصرى

كان انور الســادات حين تقرر ابعــاده عن الجيش المصرى عضوا فى التشكيل الثورى العسكرى الذى أخذ ينمو فى سرية وبطء باحثا عن صيغة مناسبة ، يعمل من خلالها ...

وقد كان وجود مثل هـذا التشكيل داخل الجيش المصرى ، قبل تلك الفترة من المســتحيلات · وللحق ، وللتاريخ ، نقول : ان تكوين هذه المجموعة من شبــاب مصر داخل الجيش المصرى يعتبر من اخطر الاحداث التى وقعت فى النصف الاول من القرن العشرين ويروى الرئيس انور السادات قصة هؤلاء الضبـاط الصغار فى السن والرتب ، والكبار فى الاحلام والآمال ، فيقول :

« كنا ضباطا صغارا وكان لنا قادة وكان هناك أيضا انجليز ، وكان قوادنا المصريون ، لا عمل لهم الا اذلالنا والانحناء امام الانجليــز .. وكنا نرى هـذا الوضـع الـكريه ، فنحترق ، ونسخط ، ولـكننا لم نستطع ان نتكلم · وماذا يستطيع ملازم ثان ان يفعل داخل النظام العسكرى وفى تلك الاوضــاع الرهيبــة الا ان يسكت ويكظم الغيظ ويدفن النار فى حشاه » ..

ويروى الرئيس السادات تحرك المجموعة الاولى من هؤلاء الضباط الشبان فى منقباد ، عام ١٩٣٨ ، وكيف

توصلت بالحوار المخلص الى ان الانجليز هم اصل بلائنا كله ، وكيف بدأ هؤلاء العمـــل ، عندما اعلن رئيس الحكومة المصرية وقتئذ ـ على ماهر ، سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب ـ اثر نشوب الحرب العالمية الثانية فغضبت بريطانيا وأجبرته على الاستقالة . وفكر هـؤلاء الضباط الشبان بعد مزيد من الدراسة ان يحتلوا كل المرافق العامة فى القاهرة ، ثم يفرضوا حكومة على ماهر مرة أخرى ، بعد استقالته المعروفة المدوية ، ثم عدلوا عن تنفيذ هذه الخطة بعد ان تراءى لهم ان تنفيذها سيكون وبالا عليهم وانهم لن يستطيعوا النجاح فيها الى النهاية . ويذكر الرئيس السادات ، كيف بدأ هؤلاء الضباط الشبان فى الاتصال بعزيز المصرى ، وعزيز المصرى قطعة من تاريخ العروبة اوقف كل شبابه وحياته للعمل العربى الثورى وتعرض فى سبيل ذلك للاضطهاد والتشريد ، فلما أتيح له أن يراس اركان حرب الجيش المصرى عمد الى خلق جيش مصرى سليم .. الامر الذى اثار حفيظة الاحتلال البريطانى ضده ، فاذا بهم يعطونه اجازة اجبارية ، ولم يكن عزيز المصري ، وهو الجندى المحارب دائما يرضى بمثل هذه النهاية ، فراح يكتب ، ويخطب ، ويتصل بابنائه الكثيرين من الضباط الشبان الذين راحوا بدورهم يضعون آمالهم فيه .. وكانت الاجازة الاجبارية ، لعزيز المصرى ـ كما يروى السادات ـ اشبه بناقوس كبير يدوى فى آذاننا لكى نبدأ العمل ، ويلتقى السادات بعزيز المصرى ، ويقول عزيز المصرى لانور السادات : عيب هذا البلد انه

ضعيف ، وانه لا يجد العناصر التى تغذيه بالقوة ، ويسأله السادات : وكيف نأتى بالقوة ؟ .. ويقول عزيز المصرى :

« أنتم شباب الجيش .. ماذا تنتظرون ؟ ومتى تعرفون مسئوليتكم الحقيقية ؟ ومتى تبدأون فى الاضطلاع بها ؟ »

ويعود السادات متسائلا : وهل تظن اننا فى داخل الاوضاع القائمة نستطيع اليوم شيئا ؟ ..

ويجيب عزيز المصرى وقد انتفض :

« تستطيعون كل شىء ، وغيركم لا يستطيع شيئا ، ماذا تنتظرون ؟ توجيها منى ؟ من لواءاتكم ؟ من حكام البلاد ؟ .. »

وسكت وهو يتمتم : « كلام فارغ » ..

وينظر عزيز المصرى الى انور السادات فى عزيمة شابة ، ثم يقول :

« لقد كان نابليون فى السابعة والعشرين من عمره فقط ، كان مثلك هكذا شابا صغيرا ، ولكنه استطاع ان يكون فى تلك السن المبكرة ، نابليون القائد، واستطاع ان يقود بلاده وجيشه ولم يكن يتلقى توجيها من أحد.. التوجيه الوحيد الذى كان نابليون يستلهمه فى كل خطواته هو الايمان ، الذى كان ينبعث من نفسه ، فابحثوا عن الايمان ولا تعتمدوا ابدا على أحد الا على انفسكم .. »

وكان لكلمة الايمان فى نفسى ــ هكذا قال انور السادات ــ رنين خاص عميق فقد كنت انا ايضا ابحث

عن الايمان واومن فى الوقت نفسه ، بانه المخرج الوحيد لنا من الحيرة ، التى كان المصريون جميعا يعيشون فيها فلا يكادون يقدمون حتى يحجموا ، تيئسهم الحسرات وترهبهم المخاوف ..

ويقول عزيز المصرى مرة اخرى : اعملوا وحدكم ، واعتمدوا على شبابكم وايمانكم ، والذى يستطيع ان يقصى عزيز المصرى عن توجيه الملك والذى يستطيع ان يقصيه عن توجيه الجيش لا يستطيع ان يقصى ضباط الجيش عنه ..

فى المعتقلات

انطلق « الســادات » بعد ذلك الى مجال النضــال الوطنى ، مســلحا بالايمان ، لا يفكر الا فى مصير بلده المحتل ؛ وكان دائم النشاط والتنقل بين الضباط الذين يختبرهم عن قرب ، عاملا على اثارتهم ضد سيــاســة القيــادة الانجليزية المســيطرة على الجيش المصرى ؛ وتوسع نشاطه فشمل صف الضــباط والجنود حتى اصبحت له قواعد بشرية مؤيدة فى سلاح المشاة وسلاح الاشارة وسلاح الحدود ، وهى الاسلحة التى خدم بها قبل ان يقف أمام مجلس عسكرى مكون من ثلاثة ضباط مصريين ، وانجليزيين : أحدهما برتبة صاغ ، واسمه « جنكيز » والثانى برتبة يوزباشى واسمه «سمبسون» وضابط من البوليس المصرى يبدو كما يقول السادات وكأنه انجليزى ..

وقد كان أهم ما دار فى المجلس العسكرى ، هكذا يقول الرئيس السادات .. اعتراضنــا على ان نحاكم كضباط مصريين أمام ضباط انجليز ، ولو كانوا مخولين هــذه الســلطة من وزير الدفاع المصرى ، ومن رئيس الحكومة المصرية نفسه مصطفى النحاس باشا ، بل لقد كان هذا التصرف من حمدى سيف النصر باشــا وزير الدفاع ، هو الخنجر الذى طعنا به فى ذلك اليوم ...

ولم يستطع المجلس العسكرى ان يحصل منا على شيء او يقدم لنا ادلة ادانة ، لا اعترافات ولا اجابات على اسئلة ، لا شيء غير الاحتجاج العنيف ، ثم التجاهل والاحتقار له ..

ولقد تقرر بعد ذلك وضعنا تحت الايقاف ، ثم طردنا من الجيش فى ٨ اكتوبر عام ١٩٤٢ ، اى بعد ثمانية أشهر من حادث ٤ فبراير المشهور ! ..

ولم نكد نبرح مكاننا فى الجيش حتى تسلمتنا السلطات المدنية الى سجن الاجانب ، ثم الى معتقل المنيا ..

***

وبعد فترة قصيرة نقل انور السادات مع رفاقه الى معتقل فى قرية ماقوسة على بعد ٤ كيلومترات جنوب المنيا ، ثم بعد فترة أخرى الى معتقل الزيتون ، وقد اصيب خلالها ببعض الامراض ، فذهبوا به الى مستشفى قصر العينى ، وبواسطة زملاء التشكيل السرى استطاع الهرب من المستشفى. واتخذ لنفسه اسما مستعارا ، وشكلا مختلفا ، وعرف باسم الحاج محمد نور الدين ، واخذ يعمل ليكسب قوته فافتتح مكتبا للمقاولات بشارع سكة المناخ ، ثم عمل فى نقل الطرود ، ورسى عليه ، هو وزميل له عطاء انشاء طريق بين شركة بورتلاند ، ومدينة حلوان ، وانشاء طريق البدرشين ، ويتحمل انور السادات فى سبيل بلده ما لايتحمله الا المناضلون ، المخلصون الشرفاء ولم يكن اكتساب لقمة العيش بتلك الاعمال الشاقة المضنية ليحول بين انور وبين العمل

الوطني الجاد ، المتواصل القائم على التضحية الفـذة الفريدة ..

ثم اعتقلوه مرة أخرى ! ..

وعن تلك الايام القاسـية ، المظلمـة ، كتب أنور السادات يقول :

كنت قد نقلت الى معتقل المنيا وكنت اذود عن نفسى هم التفكير فى العـالم الخارجى بالقراءة الـكثيرة اقطع بها وقتى .وكان هم التفكير في خارج المعتقل ، هما ثقيلا مثيرا للنفس ، باعثا للكآبه ، والجنون .. فمثلى فقـير لا يملك غير عمله وزوجـة وأولاد ، يعيش فى المعتقـل لايعرف لأهله معينا غير الذى خلقه وخلقهم ، وفىطريقى اليومى الى مكتبة المعتقل التقيت بالمرحوم الشهيد يوزباشي محمد وجيه خليل الذى استشـهد فى حرب فلسـطين وينتحى بى الصديق ناحية ليسر فى أذنى ان التشكيل قد رتب لعائلتى عشرة جنيهات فى كل شهر ، وانه جاء لـكى يطمئننى بعد أن عزت على الجميع زيارتى وكانت هذه العاطفة الصادقة من زملائى هى أسمى ما يمكن أن يشعر به مثلىفى ظلمة الاعتقال.. فقد تعرفعن الذين زاولوا الـكفاح من أجل فكرة انهم لايضعفون أمام الموت ولا يضعفون أمام السجن ولا يضعفون أمام التعذيب ، وقد يخيل اليهم فى لحظات الحماس والانفعال انهم لن يضعفوا أمام شيء فى الوجود ولـكنهم فى هذا واهمون ، فهناك الشيء الذى يضـعفون امامه والذى لا يملـكون حياله شيئا الا الفرار من الواقع ، والفرار من التفكير فيه ، والفرار من هـذه المطـارق التى تطرق الرأس

والقلب والضمير ، وتحيل الجبار شخصا ضعيفا يكاد يستسلم ، ويكاد يستغيث ، لولا كبرياء الكفاح وتأثير الفكرة المتأصلة فى نفسه ومثالية الهدف . ولعلك عرفت الآن ما هو هذا الشيء الذى يضعف أمامه المجاهدون ، انه الولد ، الطفل ، العيال ، هؤلاء الصغار الودعاء الذين ندفعهم دفعا الى مرارة الكفاح ، ونأخذهم اخذا على الصبر والحرمان ، والتقشف ، ولما يبرحوا بعد مراحل الصبا .. هؤلاء هم نقطة الضعف فينا ، وهى نقطة ضعف أعترف بها ولا تخجلنى لاننى انسان ، وقد كنت احتمل أن يحرم أطفالى من رعاية ابيهم ولكنى ما كنت أصبر على حرمانهم من ضرورات الحياة ..

وقد كانت هذه الجنيهات العشرة هى العون الوحيد الذى أقبله لاطفالى لانها لم تصدر عن عطف ، ولا اشفاق ، وانما صدرت عن فكرة مشتركة وتكافل بين مكافحين ، وبدأت أنسى هم الحياة فى خارج المعتقل ، وبدأت أفكر فى خطوط المستقبل ، وخطوات الجهاد .

أمام القضاء

وفى خضم المعركة العنيفة ضد الاحتلال البريطانى تلك المعركة الشعبية الرائعة التى اتخذت موقعا جديدا اثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، اغتيل أمين عثمان فى مساء ٩ يناير عام ١٩٤٦ ، وقد قام بهذا الاغتيال تشكيل من خارج الجيش ، وأمين عثمان باشا هو أحد اعمدة السياسة البريطانية فى مصر ، ورئيس رابطة النهضة التى انشئت عام ١٩٤٥ ، لتكون مقرا للدعاية البريطانية فى القاهرة وأمين عثمان باشا هو صاحب تلك العبارة المشهورة :

« بريطانيا ومصر ، كزوجين كاثوليكيين ، لايتم الطلاق بينهما ، ولا يتم الفراق الا بالموت » . وقد كانت قضية مقتل امين عثمان ـ وهى التى عرفت فيما بعد بقضية الاعتداءات السياسية من أخطر ما مر بتاريخ مصر من القضايا وقد قبض على عزيز المصرى فى تلك القضية لعلاقة أنور السادات ـ المتهم فى القضية ـ به وكان ما جاء فى محضر التحقيق مع عزيز المصرى ، انه يعرف أنور السادات وهو معجب به منذ كان رئيسا لاركان حرب الجيش المصرى وكان أنور ضابطا فى سلاح الاشارة ، وبعد خروج عزيز باشا من الجيش ظل انور يتردد عليه ويزوره فى بيته خلال الاعياد وكان عدد

المتهمين فى القضية ٢٦ شابا مصريا وكان مركز انور السادات بين المتهمين « السابع » ، وقد انتهى التحقيق فى القضية فى شهر مارس عام ١٩٤٦ ، وشهدت المحاكمة احداثا هامة من بينها اتفاق القضاء والمحاماة على التحدث فى بداية جلسة ٢ ديسمبر عام ١٩٤٦ عن القضية الفلسطينية ، وقد أناب المحامون المصريون عنهم المحامى الموسوى ، الاستاذ زكى عريبى ، وفى هذه القضية أدى الشهادة مصطفى النحاس ، وعلى ماهر ، وحافظ رمضان ، وبهى الدين بركات ، وحسين سرى ، ومحمد حسين هيكل ، وفى هذه القضية أثير موضوع خطير هو مطالبة الدفاع بتنحية محمد كامل القاويش ممثل النيابة عن كرسى الادعاء ، وفى هذه القضية - أيضا - ولاول مرة فى التاريخ - يقف ممثل الاتهام الاستاذ حسن أنور حبيب فى جلسة ١٠ ابريل عام ١٩٤٦ ، ليصف يوم ٤ فبراير بأنه سيظل وصمة فى جبين الامبراطورية البريطانية وسيظل دليلا صارخا على البربرية التى هوى اليها الانجليز فى ذلك اليوم الاغبر الكالح . وسنظل نلعن الانجليز أبد الدهر ماداموا محتلين بلادنا ولو كانوا فى اجدب بقعة فيها ويخيل الى ان كل باب يغلق كأنما ينصفق فى وجوههم وان كل حجر بأرض الوادى ود لو طار فحصبهم فى جباههم وان كل كلب ينبح انما يصرخ فى وجوههم : اخرجوا من هذا البلد ، الجلاء ووحدة وادى النيل شعورنا وشعارنا ، بل هو ترديد لوجيب قلوبنا ، ونبضات دمائنا وهمسات أرواحنا شيبا وشبانا رجالا ونساء .

وفى جلسة ثالثة جاء محمـــود منصور «بك» النائب العام ليصرح بأن تلك العبارات التى وردت على لسان انور حبيب لا تعبر بحال عن راى النيـابة العامة .. وهـاج المتهمون فى قفص الاتهـام وثاروا ووقف انور السادات يقول بصوت جهورى : انا افضل ان اشنق الف مرة على ان ارى النائب العام يتراجع ويقف هذا الموقف غير المشرف ؟ ! ..

التشكيل الثانى

يقول احد رفاق الطفولة والشباب :

ـ لم يكن بالرجل الذى يحطمه المعتقل أو يقضى على معنوياته ونشاطه ، اذ عمل ذات مرة على انشاء تشكيل سرى من زملائه المعتقلين ، ووضعوا خطة للهرب والقيام بعمليات انتحارية ضد قوات الاحتلال البريطانى ـ ثم كتب رسالة سرية خبأها فى « ذيل جاكت البيجاما » التى اعتاد ارسالها الى أسرته للتنظيف ، طلب منا ان نسلمها للمرحوم الفريق عزيز المصرى يدا بيد .

وكانت الرسالة تقول : « التشكيل الثانى فى السجن على تمام الاستعداد للتنفيذ » .

ولقد قام « كامل القاويش » بمهاجمة بيت السادات وهو نزيل المعتقل اكثر من مرة ، للبحث عن هذه الرسائل السرية التى يرسلها مع ملابسه المعدة للتنظيف وتعرضت الاسرة لكثير من الارهاب ، حتى قرر السادات ان يهرب من المعتقل، وقد نجح فعلا فى الهروب بواسطة اصدقائه الذين امدوه بطلباته من المعدات الصغيرة ، وذات مرة هرب من المعتقل ثم عاد اليه بقدميه ، بعد ان قابل احد كبار رجال الشرطة وابلغه بالتعذيب والتنكيل الذى يوقع عليه وعلى زملائه من المعتقلين ، وكان عملا جريئا هز البوليس السياسى تلك الايام حين تناثرت القصة ، وعرفتها اجهزة الامن ...

وعمل أنور السادات فى مهن ومدن مختلفة ، ومن بينها مهنة نقل الفواكه والاغذية الى معسكرات الانجليز بمدن القناة ، وخلال تردده المستمر استطاع أن يرسم عدة خرائط للمعسكرات ومداخلها ومخازنها ومواقع تجمعات الجنود والطريق اليها ، وكانت هذه المعلومات سندا هاما فى نجاح العمل الفدائى المسلح الذى اشرف عليه وساهم فيه ، بعد عودته ضابطا بالجيش المصرى مع بداية عام ١٩٥٠ .

الفصل الرابع

السادات..
ضابطاً بسلاح الإشارة

قضي انور السادات اجمل سنى العمر ضابطا بسلاح الاشارة ...

لقد عاش الرئيس القائد سنوات عمره مليئة بالنضال والمعارك ، بحب لا يتجاوزه حب ، وبطموح لايدانيه طموح ، وبرجاء يرقى فوق كل الاحلام والامنيات ، كانت مصر ملء وجدانه ، فلم يكن غيرها فى القلب منذ التحق بالمدرسة الثانوية فى الثلاثينات ، وقد ظل مرتبطا بقضية وطنه ، يدفع الثمن كل يوم من شبابه وحريته الشخصية ، ولم ينهزم مرة واحدة على الاطلاق، وعاش وايمانه بالشعب وبالعسكرية المصرية ، خصب راسخ ، ثابت كالسماء ، لا تثنيه المحن أو النكسات ..

فى هذا الفصل نرى من خلال رفاق السلاح ، كيف كان يبدو الملازم ثان ، أول ، اليوزباشى ، الصاغ ـ البكباشى ، انور السادات ، منذ عام ١٩٣٨ ، حتى يوليو عام ١٩٥٢ ، ضابطا بسلاح الاشارة ؟ ..

كيف راى الرفاق خصائصه ؟ امكانياته العقلية ؟ نسيجه البشرى ؟ عقيدته الوطنية والعسكرية ؟ مكونات الانسان الثورى لديه وهو يواجه الازمات والصعاب ، فيجتازها ، ويبقى ايمانه بالثورة عاليا يعيش لها ، وبها ظل صامدا ، ومنها استمد قوة بأسه وايمانه ، وقيادته الثورية لوطنه وشعبه البطل ..

رفاق الاشارة

انه أشـبه بالشرايين ، يتدفق منها دم الحياة الى الجيش ، بل هو الجهـاز العصبى للقوات المسلحة ، يربط بين جسد وحداتها العسكرية ، ويلغى المسافات بينها ، ويقرب الرؤيا بوضوح امامها ، ويوحد فى النهاية قراراتها ، فسلاح الاشارة هو لســان القائد وعينـاه وآذناه ، بل حواس القائد الخمس فى أى وحدة عسكرية صغيرة او كبيرة .

ورغم اهمية سلاح الاشارة فى كل جيوش العالم ، فقد حرص الاستعمار البريطانى خـلال سـيطرته على جيشنا وحرمانه من مشروعات التجديد والتطوير حتى الاربعينات على ابقاء هذا السلاح متأخرا فنيا ، عاجزا عسكريا ، لتظل قوة المواصلات اللاسلكية فى الجيش المصرى ضعيفة هزيلة خاضعة فى سهولة لسيطرة القادة الانجليز .

وبعد توقيع معاهـدة عام ١٩٣٦ ، وتحت ضـغط الفوران الوطنى لجماهير مصر المتعطشـة للثورة ، وفى محاولة استعمارية لامتصاص غضب الشعب ، اعيـد تنظيـم الجيش المصرى عام ١٩٣٧ ، وانشىء سـلاح الاشـارة عام ١٩٣٨ ، وبـدأ أول ربط لاسلكى بين الوحـدات والـكتائب ورئاسـة الفرق العسـكرية ، مبتدئا بسلاح الطيران .

قبل ذلك بعام ،وقع اختيار الانجليز على ثلاثة ضباط مصريين للسفر فى بعثة اشارة الى انجلترا ، وهم : لواء احمد سعيد الرافعى ، ولواء حسن همت الصيرفى ، ولواء طه طه فتح الدين ، والاخير كان رئيس الجانب العسكرى فى مباحثات الجلاء عام ١٩٥٤ ، كما تولى رئاسة لجنة تصفية القاعدة البريطانية فى القناة ، وتسلم المعسكرات الانجليزية بعد توقيع اتفاقية الجلاء

وسافر الضباط الثلاثة ، وعادوا فى نهاية عام ١٩٣٨ ليصبحوا روادا للسلاح ، ويبداوا تدريب الرجال مع بعثة عسكرية بريطانية كانت تشرف على اعادة تنظيم الجيش ، ولم تكن المجموعة الانجليزية التى عملت معهم بسلاح الاشارة تضم غير ضابط واحد برتبة صاغ ، واثنين صف ضابط .

ولقد بدا الضباط الثلاثة فور عودتهم للوطن يتمرقون على مستوى قيادة السلاح فنيا وعسكريا وكان « ابو الاشارة » فى مصر يقود السلاح تلك الايام وهو اللواء اسكندر ابو السعد ، من مواليد عام ١٨٨٥ ، وخريج المدرسة الحربية عام ١٩٠٧ ، وقد ظل ضابطا بسلاح الاشارة حتى احيل الى المعاش فى نهاية عام ١٩٤٠ .

يقول اللواء متقاعد طه طه فتح الدين :

كان عددنا كضباط اشارة فى جميع وحدات الجيش ٥٥٠ ضابطا اختيروا من مختلف أسلحة الجيش ، أكفأ الضباط مقياسا ومعيارا هو الذى يلحق على الاشارة ، كسلاح فنى جديد له أهميته مستقبلا .. تلك الاهمية التى اعتمد عليها تشكيل ثورة ٢٣ يوليو ، كما كان هناك أيامها دورة تعليم اشارة ، تقدم لضباط بقية الاسلحة ، ويحصل عليها الضابط الممتاز فقط ، فكان بين هؤلاء الضباط الذين بلغ عددهم ٥٥٠ ضابطا ، الملازم ثان محمد أنور السادات ، كما كان بين الضباط الممتازين الذين حصلوا على دورة تعليم الاشارة ، الملازم ثان جمال عبد الناصر حسين .

وفى مدرسة سلاح الاشارة كان ثمة لقاء للرجلين ، حيث تراملا شابين ، وتآلفا ، وربطت بينهما صداقة قوية ، دعامتها فكر متقارب ، ورجاء واحد ، هو « مصر » وخلاصها من الاحتلال الاجنبى .

وحتى نهاية عام ١٩٣٩ ، لم تكن هناك وحدة ثابتة لاشارة سلاح المشاة ، ولم يكن الجيش المصرى يزيد أيامها على قوة ٣ لواءات ، وكانت وحدات الاشارة تتكون وبشكل مؤقت أثناء المناورات السنوية فقط ، فتستعير الافراد من فصائل الكتائب ، كل كتيبة تقدم ثلاثة او اربعة افراد ، وتتكون المجموعة لربط الكتائب ببعضها البعض فترة المناورة فقط ، ثم يعود الأفراد الى وحداتهم ! ..

وفى عام ١٩٤٠ ، انشىء أول قسم ثابت لاشارة لواء مشاة ، واختير الملازم أول محمد أنور السادات لتولى قيادة هذا القسم ، ورغم ان نشاطه كضابط اشارة كان مصدر خلاف دائم مع القادة الانجليز ، أعضـــاء البعثة العسكرية البريطانية التى تشرف على استخدامات اجهزة السلاح ، وذلك لرفضه تطبيق المعدلات الانجليزية فى خطط الاشارة فى حدود الضبط والربط ، حتى لايعطى ضابطا من قوات الاحتلال فرصة الاستناد الى اى ماخذ عليه ، الا انهم وافقوا على اسناد القيادة له ، تحت ضغط مزاياه الفنية ، وميله للابتكار فى استخدام الاجهزة المتاحة بين يديه وأيدى رجاله ، وعدم تقيده بالروتين، فقد رايت السادات لا يمل الاستقصاء أو تقصى المعرفة ، والتنقيب عن كل ما هو مفيد وجديد ، دون أن يبخل بجهد أو بوقت راحة ممنوحة له .

أقول ذلك لاننى بالمعاش منذ ســـنوات طويلة .. ولو كنت ضابطا عاملا حتى اليوم لترددت فى ذكرها ... ولتركتها للتاريخ .

وعاد اللواء متقاعد طه طه فتح الدين ، يقول :

ـ شهدت الضبـــاط الانجليز يكرهون وطنية أنور السادات ، ويعجبون بعسكريته فى اعماقهم ، فقد ظل دائما الضابط الصغير الذى يرتفع بسلوكه واخلاقياته فوق المثالب والمنافع الشخصية ...

لواء م. أبو حسين

عاد الرئيس أنور السادات الى الجيش المصري عام ١٩٥٠ ، وكان أكثرنا كضباط اشارة يعرف قصة نضاله ... عددنا فى تلك الايام كان قليلا جدا ، وتولى قيادة السرية الاولى ، ثم الثالثة بالآلاى اشارة الفرقة الاولى مشاة فى رفح برتبة يوزباشى ، بينما زملاؤه بلغوا رتبة البكباشى ، فطالب باقدميته ، فلم يكن السادات بالرجل الذى يسكت على فقدان حقوقه لانهم أعادوه للجيش ، وكنت ايامها أركان حرب مدرسة الاشارة ، ورأيته يحضر الفرق التدريبية ، ويؤدى الامتحانات المطلوبة ، ولقد نجح فيها ، ثم تقدم للفرق الحتمية ، ونجح فى امتحان الترقى الى رتبة صاغ ، ومعنوياته مرتفعة دائما ، ثم حصل على رتبة المقدم اى بكباشى ، من خلال تقاريره السرية ، واصبح فى اقدميته الطبيعية من حيث الرتبة .

قبل ذلك بعشرة أعوام ، كنت قد تخرجت فى الكلية الحربية عام ١٩٤٠ ، وبدات احصل على فرقة اشارة عام ١٩٤١ ، ورايت الرئيس السادات برتبة ملازم اول، منذ شبابه وهو رجل يحرص كل الحرص على تأدية فرائض الدين ، فكان محل احترام اقرانه من الضباط واحترام الجنود حوله ... واذكر انه كان حين يتولى

ضابط نوبتجي لليلة ، يتجمع الجنود حوله ، فى حلقة مناقشة بعد صلاة العشاء ، وبعضهم يضحى باجازته من اجل هذه الحلقة التى تشمل درسا دينيا ، وبالضرورة درسا سياسيا وطنيا .. كانت أحاديثه عن الوطن والاستقلال فى تلك الايام وهى تصدر من شاب فى بداية الثلاثينات من العمر يفيض وطنية وايمانا بالشعب المصرى شيئا غير عادى ... وربما هى بالامر البسيط اليوم .. ولكن الوضع يختلف كل الاختلاف عن عام ١٩٤١ ، لذلك كانت مشاعر الضباط والجنود ممن خدموا معه ، دائما حوله ، فارتبطوا به ، وأخلصوا له

ذات يوم جاء الينا ضابط انجليزى من قادة السلاح وكان على الرئيس السادات وهو ضابط صغير ان يقوم بجولة معه ، وامام السيارة تقدم الضابط الانجليزى ليركب بجانب السائق ، فمنعه السادات أمامنا ، قائلا له :

ــ تفضل بالركوب فى الخلف ..

ــ لماذا ؟ ..

ــ سأركب أنا بجانب السائق ، لان هذه العربة عربة الجيش المصرى ، وأنت ضيف هنا ..

وارتبك الضابط الانجليزى وكان برتبة ميجور ، ونفذ الامر فى صمت وغيظ مكتوم ؛ وكانت هذه القصة حديث الوحدات بعد ذلك .. تنتقل من وحدة لاخرى ، فعرف الكثيرون أنور السادات ، الضابط الوطنى الجرىء ، دون أن يروه .

بعد عودته لسلاح الاشارة ، صدرت التعليمات بالحاقه على « آلاى الاشارة » بالعباسية .. وكان هذا الآلاى يضم عددا من الضباط ممن لايملكون أى سند فى الجيش غير وجودهم ، واكثرهم كانت ميوله السياسية ضد الحكم القائم وقتها ، وكانت الرابطة التى تشدهم بعضا الى بعض هى اضطهادهم من السراى وقيادتها العليا .. وبعدها مباشرة صدرت الاوامر العسكرية بتحرك هذا « الآلاى » الى سيناء ، فطلب الرئيس السادات أن يكون « مقدمة » لهذا الآلاى ، فلم يجب الى طلبه وارسلوه الى القنطرة شرق ..

بعد نقله الى القنطرة ، خدم فى العريش ، ثم جاء الى رفح ، وهناك التحمنا واقتربنا منه أكثر .. كان برتبة يوزباشى ، ولكننا لعلمنا بقصة كفاحه ، ولسلوكه كضابط ، وكأخ كبير لنا ، كنا نناديه من تلقاء أنفسنا ورتبة البكباشي تسبق اسمه ..

وكان يحرص على معرفة كل ضابط معرفة جيدة ، ولقد اختار بعضنا لطبع منشور الضباط الاحرار الذى كان يصله من القاهرة ، نطبع عددا كبيرا منه بعد ١١ مساء كل ليلة ، وقبل منتصف الليل ننتشر لتوزيعها داخل ميسات الوحدات ، مستغلين حظر التجول ،

والليالى الممطرة .. والارض الموحلة التى تمنع الضباط من التحرك ، وغلق الابواب شتاء .. وكان واجبه هو دراسة رد الفعل عند جميع الضبــاط الذين يفاجأون بالمنشورات فى الصباح تحت عتبة الابواب .. ثم يختار منهم من يقع عليه اختياره بعد عدة اختبارات لضمه الى الضباط الاحرار ..

ولقد رأيته أبا للجنود منذ عملت معه ، كان يناديهم بأولادى فى رفح .. نفس النداء الذى يصدر عنه اليوم ، وكثيرا ما قضى اجازاته بينهم .. فى الاعياد لايتركهم ، يقضى الاجازة فى الوحدة ثم ينزل الى القاهرة بعد العيد .. وما سب جنديا فى حياته وكان أكثر الضباط أيامها يستعمل ألفاظ السباب فى تعامله مع الجنود ، بل كان هناك من يلجأ الى ضرب الجندى اذا أخطأ او تكاسل كأنه طفل صغير وكان الرئيس السادات يحرص دائما على توعية الضباط بمساوىء هذا الاسلوب فى قيادتهم للجنود ، ويحثهم على تغيير المعاملة .

واذكر اننى كنت أستعمل خاتما ذهبيا ، ثم رأيته ينظر اليه ، وفهمت نظرته ، فخلعت الخاتم على الفور ، فقال لى : « أسعدتنى .. كنت انتظر منك هذا التصرف » ..

ورأيته حزينا ذات يوم ، وحدثنى بمرارة عن قصة وقعت له : « دخل الى القائد لتوقيع ورقة عمل ، فاذا بالقائد وكان برتبة « أميرالاى » يطلب منه توقيع « البلوكامين » على هذه الورقة قبل ان يوقع هو !..

وفى الجيش ، كان اذا سار اثنان من الضباط ،

أحدهما بجانب الآخر ، فعلى الضابط الاصغر رتبة أن يغير الخطوة ، ولكنه كان يغير خطوته اذا سار احد منا بجانبه ، تواضعا واشعارا منه لنا بتقديره، فأحببناه وارتبطنا به نفسيا وعسكريا ، وما اختلف اثنان على حبه والانتماء اليه على الاطلاق ..

***

ليلة الثورة ، وبعد الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة ، دخل ليسيطر على الاتصالات اللاسلكية .. هبط الى البدروم حيث تحويلة خطوط التليفونات ، وكان جنود التحويلة فى حالة ذعر نتيجة القتال الذى دار خارج المبنى ، فتركوا التحويلة ، واستطاع السادات أن يجمعهم ، وأن يلقى فيهم كلمة قصيرة ليعودوا الى اماكنهم ، وبدأ بنفسه فأخذ مكان احد الجنود وادار الاتصالات ، فاذا بالجنود يجلسون الى مقاعدهم ، ويمسكون بالاجهزة وينتظرون تعليماته

فى هذه اللحظة اتصل وزير الدفاع أيامها وكان بالاسكندرية ، يسأل عن الاخبار التى سمعها ، وتلقى السادات المكالمة ، وأجاب وزير الدفاع كأنه أحد جنود التحويلة ، وسأل الوزير :

ـ ايه ياعسكرى اللى حصل عندكم ؟ .. سمعت اخبار بتقول فيه تمرد أمام القيادة ؟ ..

وقال الرئيس السادات :

ـ دى اشاعات غير صحيحة يا معالى الباشا ، الحالة عادية جدا ، وسعادة رئيس الاركان موجود دلوقتى فى مكتبه ..

ـ لـكن تليفونه ما بيردش ! ..

واجاب الرئيس السادات :

ـ كان عطلان واتصلح من دقائق يا معالى الباشا ؛ حاوصل معاليك بيه حالا ..

وكان رئيس الاركان اللواء حسين فريد باشا مقبوضا عليه فى تلك اللحظة ، ولقد تحدث بالفعل الى وزيره ، ولم يستطع بالطبع أن يبلغه بشىء مما حدث قبل دقائق من هـذه المكالمة ..

عميد م . كمال

التقيت به لاول مرة فى ثكنات العباسية ، ثم فى رفح ، وكانت وحدتنا هي آلاى اشارة الفرقة الاولى مشاة هناك وآلاى تعني الآن قوة لواء أو فوج ، وكان المرحوم صلاح سالم بقيادة الفرقة وشقيقه الاكبر المرحوم جمال سالم بالمطار الحربى فى العريش ، وكان الرئيس السادات قائدا للسرية الاولى ، وكنت أتولى اركان حرب الآلاى .. وكانت اسرتى تعيش معى فى رفح واسرته ايضا وقد طلب الى الجنود من الفلاحين زراعة الرمال حولنا ، فزرعوا البطيخ والطماطم وتكرر نفس الشيء على مستوى وحدات الفرقة ..

وكان معروفا بايمانه ، اذا قام للصلاة ونحن جلوس حوله ، نصمت عن الحديث احتراما للصلاة ، وظل مدة طويلة يحرص على أداء صلاة الجمعة فى « غزة » .

وحتى قبل قيام الثورة بأيام ، كان الرئيس السادات يتولى شئون خزينة الآلاى ، واذكر انه طلب يوم ١٨ ، أو ١٩ يوليو عام ١٩٥٢ ، نصف اجازة ميدان ، وكنا بالليل ، فرجانى ان اذهب بطلب الاجازة الى القائد فى بيته ، لأحصل له على التصديق بنصف الاجازة ، ٤ أيام ، ففعلت .. غير ان القائد اشترط موافقة قيادة الفرقة .. لا أدرى لماذا ؟ ..

ولكن هذا ما حدث ، وعلى الفور ارسلنا اشارة لقيادة الفرقة بالطلب ، وظللنا ننتظر .

***

كان الرئيس السادات مهتما بهذه الاجازة اهتماما غير عادى ، وسألته تفسيرا لهذا الاهتمام فقال لى : ان السيده والدته مريضه ويخشى عليها من مفاجات المرض .. وكلنا يعلم حبه الشديد لها ..

وجاءت موافقة قيادة الفرقة على قيامه بالاجازة ، وكان سعيدا بهذه الموافقة وقبل ان يرتب حقيبته .. وكانت اسرته أيامها بالقاهرة ، طلب منى معاونته فى تسليم خزينة الالاى للمقدم تادرس وهبه « لواء » فيما بعد .. فقلت له متعجبا :

ــ ولماذا الخزينة بأكملها .. اترك لنا مبلغا بسيطا من المال حتى عودتك ..

يومها نظر لى نظرة صارمة ، وقال :

ــ قد يتطلب مرض والدتى ان أبقى بجانبها عدة ايام فأطلب بقية الاجازة ، ولا أريد ان ابقى بالقاهرة مشغولا بالخزينة فى رفح ..

وبالفعل قام « المقدم تادرس » قائد ثانى الآلاى باستلام الخزينة ، وسهرنا طول الليل نتحدث ، وركب القطار فجرا ونحن نودعه ، ووصل القاهرة قبل غروب يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ ، وبعد أقل من ٤٨ ساعة سمعنا صوته فى الراديو يذيع اول بيان للثورة ..

كان فى امكانه ان ينزل سرا الى القاهرة دون اجازة رسمية ، وكان بامكانه أن يغلق الخـــزينة ويتركنا بلا نقود .. ولكنه رفض أن يفعل شـــــيئا من هذا بدافع من حرصه على النظـــام ، وعلى سلامة كل ما يقوم به من تصرف شخصى كضابط مثالى ..

عقيد ا . فهمى

خدمت معه منذ عام ١٩٥٠ حتى يوليو عام ١٩٥٢ ، كنت ضابط اشارة بالآلاى نفسه ، وكان يجمعنا ونحن ضباط صغار ويحدثنا طويلا عن مصر ، ويشرح لنا كيف يحكمنا الانجليز ، وكيف يجد المستعمر حكاما مصريين يتعاونون معه ، ويروى لنا أسرار السراى الملكية وفسادها ، كما يذكر بطولات الوطنيين الثوار قديما وحديثا .. كانت مثل هذه الاحاديث فى تلك الايام شيئا مثيرا للغاية ، ولذلك كنا نحرص على الجلوس اليه ضباطا وجنودا ..

لقد أوجد فينا روح الجماعة ، اقنعنا بتوديع كل ضابط يعود الى القاهرة فى اجازة حتى القطار ، وباستقبال كل ضابط يأتى من الاجازة ، وعلمنا الوفاء والحب والتغاضى عن الخلافات الصغيرة ، واذا أخطأ احدنا انفرد به وشرح له خطأه وقدم له النصح فى ابوة وحنان ..

وكان يقول لنا : « ليس جميع القادة الكبار على ذلك المستوى السيىء الذى نراه فى البعض منهم ، هناك رجال لا يقل الواحد منهم وطنية عن أى وطنى وهب حياته من أجل مصر ..

وروى لنا قصة أحد القادة ممن خدم معهم ، فوجىء

ذات ليلة بقوة عسكرية تهاجم بيتـه ، وعلى رأسـها ضـابط انجليزى ، ومعه ضـابط مصرى ، هو قائد الملازم أول انور السادات ، فى ذلك الحين ، جاء مع الضـابط الانجليزى ليشهد تفتيش بيت هـذا الملازم المتهم بالعمل العدائى ضد الانجليز ، بحثا عن مسدس مدنى معين ..

وقال الرئيس السادات ، لزملائه الضباط :

ـ واسفر التفتيش عن عدم وجود هذا المسدس ، واندهشت ، فكنت أعلم ان المسدس موجود بالمنزل ، واذا بهذا القائد المصرى يهمس فى أذنى : « الامانة فى جيبى ، أنا عثرت عليه أول ما دخلنـا .. أطمئن بقى »

***

ولذلك كان البكباشى انور السادات بعد نجاح ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، حريصا كل الحرص على معـاملة كبار القادة من ضباط ما قبل الثورة الذين كانت لهم مواقف مشرفة ، أو حتى الذين لم تكن لهم تلك المواقف وكانوا يعاملون جنودهم وضباطهم معاملة تليق بكرامة الانسان المصرى البسيط ، بكل رعاية وتكريم ..

فى سلاح الحدود

فى عام ١٩٤٢ ، نقل اليوزباشى انور السادات الى سلاح الحدود ، ضابطا بكتيبة الاشارة التابعة للحدود وهى الكتيبة السادسة ، وكان يطلق عليها « أورطة اشارة السجن » وهناك خدم معه جندى متطوع عبد المنعم السيد « ملازم الآن » والمساعد رفعت ماضى ، «نقيب اليوم» ، والاثنان ما زالا بسلاح الحدود ، وكان الرجلان يلازمانه كظله وقد التقيت بهما خلال جولة البحث ...

قال لى النقيب رفعت ماضى :

ـ كان لى شرف الانتساب الى نفس القرية التى ولد فيها الرئيس السادات ، وقد زاملته فى مدرسة الاقباط الابتدائية بقرية طوخ دلكه ، وتبعد قليلا عن قريتنا ، بل كنا فى « كتاب » واحد يملكه الشيخ عبد الحميد عيسى قبل المرحلة الابتدائية ..

وفى سلاح الحدود خدمت معه ، كان عليه ان يحاضرنا بمدرسة اللاسلكي بالجبل الاصفر ، وبعد درس اللاسلكى يبدأ درس الوطنية ، وتوعية الجنود خاصة ممن كانوا فى حاجة الى التوعية السياسية وفهم ما يدور فى بلادهم ..

ومن أبناء قريته عمل معه عدد ليس بقليل من شباب

عمره فى اعداد القنـــابل اليدوية بعد تدريبهم عليها ، لالقائها على معسكرات الاحتلال البريطانى ..

وفى عام ١٩٤٢ ، كان قادة سلاح الحدود من الضباط الانجليز ، وكثيرا ما شـــهدنا مواقف وطنية له ضـــد تعسف الضبـــاط الانجليز ومحاولاتهم المستمرة للنيل من كرامة ومعنويات الجنود المصريين ..

واذكر انه اعتقـــل ثلاث مرات فى معتقل ماقوســـة بالمنيا ، وفى معتقل الزيتون ، وفى معتقل هاكستب ، ودخل سجن الاجانب ، وسجن مصر ، بشرف الاشتغال بالوطنية ..

وكنا نجمع النقود من زملائنـــا لزيارته فى ســـجن الاجانب ، فثمة ضابط انجليزى كان لا يسمح بالزيارة الا فى مقابل جنيهين عن كل لقاء به ..

وفى قريتنا وهذا للتاريخ ، حرص الرئيس السادات على معاونة عدد كبير من الفلاحين على تعليم ابنـــائهم قبل الثورة ، حتى المرحلة الجامعية ، وما عرف بفلاح يواجه أزمة الا واسرع اليه يقف الى جانبه ويمده بأقصى العون ..

وقال لى الملازم عبد المنعم السيد :

ــ كان « الصولات » على أيامنا يعاملوننـــا بخشونة شديدة ، بل بقسوة .. وحين جاء الينا اخذ يعاملنا كاخوة له ، ويحمينا من اى ارهاب يقع علينا وكان يقود الطابور اليومى بنفسه ، ويطلب من صف الضباط أن يدخلوا الطابور معنا ، فرفع من معنويات الجنود .. بل استـــطاع ان يحصـــل لنـــا على اشتراكات مجانية

لاستعمال المواصلات ، وعمل على عودتنا كل مساء الى بيوتنا ، وكان معسكرنا بالجبل الاصفر بعد المرج .

ذات يوم جمعنا وقال لنا :

ـ نحن جميعا أبناء وطن واحد ، وأنا أتحدث اليكم الآن كواحد من أسرتكم ، ولا اطالبكم بغير حماية هذه الاسرة .. اذا استطعنا أن نبقى بالسلاح كأسرة قوية متماسكة نجحنا في مواجهة سيطرة الانجليز وغطرستهم .. أنا لا يحزنني شيء غير هذه الايام التي نعيشها تحت قيادة الانجليز .. وهذا وضع غير طبيعي ولذلك اعدكم بانه لن يستمر طويلا ، وسنحصل كشعب على حريتنا واستقلال وطننا ..

ولم نتذكر هذه الكلمات الا بعد جلاء المستعمر عن مصر ، وما كان أحدنا يتخيل ان هذا الحلم سيتحقق يوما ما ..

المعلمون القدامى

فى جولة البحث عن رفاق السلاح ، التقيت ببعض القادة من ضباط الاشارة الذين تركوا القوات المسلحة الى مواقع أخرى للخدمة الوطنية العامة .

ـ لواء طه فتح الدين : من مواليـد فارسكور عام ١٩١٠ ، تخرج فى المدرسة الحربية عام ١٩٣١ ، وكان احد ثلاثة من ضباط الاشارة الذين سافروا فى بعثة فنية للدراسة فى سلاح الاشارة الملكى البريطانى عام ١٩٣٧ ، وعاد فى نهاية عام ١٩٣٨ ، ولقد ظل ضـابطا بالاشارة حتى نهاية أبريل عام ١٩٥٦ ، حيث نقل الى وزارة الخارجية ..

ـ كان الرئيس أنور السادات ضابطا صغيرا لايشكو ابدا من العبء الملقى عليه ، وما اعترض يوما على قسوة العمل ، بل كان يطلب ايفاده الى المأموريات الصحراوية وقبل عام ١٩٣٧ ، لم يكن لدينا سلاح اشارة رغم أن الاشارة هى بمثابة الجهاز العصبى لجسد الجيش ، بل هى حواس القائد الخمس فى اى وحدة عسكرية .. وفى ذلك العام عهد الى « أبو الاشارة » فى بلدنا اللواء اسكندر أبو السعد ، من مواليد عام ١٨٨٥ ، وتخرج فى المدرسة الحربية عام ١٩٠٧ ، عهد اليه بانشاء مدرسة الاشـارة المصرية الملكية .. بينمـا كان اللاسلكى

سيدخل لاول مرة فى اساليب المواصلات لدى الجيش ، وكان قائدنا ضابطا انجليزيا برتبة ميجور يعاونه اثنان من صف الضباط الانجليز أيضا ، وبعد عودتنا من لندن تولينا العمل على مستوى قيادة السلاح ، وكنت برتبة ملازم اول فتوليت منصب أركان حرب فنى رئاسة السلاح ، وظللت به حتى رتبة العقيد ، وحتى قيام الثورة عام ١٩٥٢ ..

***

وفى نهاية عام ١٩٣٩ ، عقدت دورة تعليم لضباط الاشارة والتحق بها أكفأ الضباط مقياسا ومعيارا ومن بين ضباطها الزعيم الراحل ، والرئيس السادات .. وربما تدعمت أواصر الصداقة بينهما تلك الايام ، ورأيت السادات كعمدة من رجال الريف يلتف حوله كل الضباط ، وهو قادر على جذبهم اليه وكان يؤم الصلاة وبيننا من هو ضعف عمره ومن حج الى بيت الله اكثر من مرة ولكننا كنا نراه أكثر منا اقترابا من الله وكثيرا ما حدثنا فى الوطنية وفى تفسير القرآن الكريم بصوت جميل ومنطق هادىء ، فضلا عن حبه ، بل غرامه للاشارة واللاسلكى ، ولذلك كان الاول على الفرقة ، فعهد اليه بانشاء أكبر قسم ثابت من اقسام سلاح الاشارة على مستوى قوة لواء ، وهو اللواء الاول مشاة وقد تولى قيادته ، وطور الكثير من معدلات الاشارة وخططها واصطدم بالضباط الذين يحرصون على تطبيق ما تعلموه من الانجليز ، وكانت له الغلبة فى النهاية ..

ولقد عاش ميالا دائما للابتكار ، لا يتقيد بالروتين ،

يعمل باكثر من المدى القانونى للأجهزة التى يملـكها ، يستغل الجو والموجات المغناطيسية استغلالا فنيا عاليا ، يطوع الاجهزة لارادته ، يبتكر طرقا تبـادلية جـديدة باستمرار .. دقيق ، حريص على ملـكية قطع غيـار وبطاريات واحمـاض اينما كان .. ولقد دعمت هـذه الاعتبارات اتصاله بجميـــع وحدات الجيش ، مشـاة ومدرعات وطيران ، فكان له أصدقاء فى كل سلاح على مستوى الفرقة حتى السرية ..

***

وقد عاد لنا عام ١٩٥٠ ، فاعتبرنا عودته انتصـــارا للحق والعدل ، وتولى قيادة السرية الثالثة وهى المنوط بها مواصلات مدفعية الفرقة ـ وقبل قيام الثورة بأيام التقيت به فى رفح ، وكنت اعرف ان اجازته الميدانية تنتهى فى منتصف يوليو ، فقلت له :

ـ الم تحصل على اجازتك بعد ؟ ..

ـ بلى .. لم احصل عليها ..

ـ لماذا ؟ .. هل وجودنا « وكان معى قائد السلاح فى زيارة تفتيشية » عطلك عن النزول ؟ ..

ـ بالعكس .. لقد عملت على تأجيل اجازتى عدة ايام ، حتى يصل طبيب مصرى قادم من الخارج فأعرض والدتى عليه .. انه أخصائى ماهر ..

وغادرنا يوم ٢٢ يوليو فجرا ، وسمعت صـــوته فى اليوم التالى يذيع أول بيان للثورة .. ولم اتعجب .. فقد كنت اشعر نحوه بمشاعر الاب ، وانه ليس بالشاب العادى ..

خطة سرية للانجليز

لواء مراد عبد الشافى : اول دفعة مهندسين تلتحق بالجيش المصرى عام ١٩٣٩ ، خدم فى جميع وحدات الاشارة ، وتولى قيادة السلاح حتى عام ١٩٦١ ، ثم ترك القوات المسلحة الى موقع عام آخر .

ـ التقيت بالرئيس السادات عام ١٩٣٩ ، كنا برتبة ملازم ثان ، ولما عاد الى الجيش عام ١٩٥٠ ، كنت أتولى منصب أركان حرب السلاح فنشأت صلة عمل بيننا مرة اخرى .

اذكر انه كان منذ شبابه مشحونا بالوطنية ، باحثا عن كل ما يمكن تنفيذه ضد قوات الاحتلال ، وقد حصل بمعاونة بعض زملائنا على خطة انجليزية لاغراق مصر ، اذا ما دخل الالمان القاهرة ، وكانت الخطة تتضمن اغراق التليفونات والكبارى وضرب المجارى واجراء عملية تخريب واسعة ، وتقرر على الفور أن تقوم وحدات من الجيش المصرى بحماية المنشآت العامة سرا ضد هذه الخطة ، وكان انور السادات يدير احد المراكز التى تولت تجميع صغار الرتب من الضباط حول مصر وضرورة حمايتها من جريمة المستعمر الذى كان سيسحب قواته الى السودان .

معارك الحرب الثانية

عبد الرحمن سـعيد : ممن تركوا القوات المسلحة مبكرا ولـكنه زامل الرئيس السادات منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٥٢ برفح ، كرفيق سلاح واحد .

ـ لقد حضر الرئيس السادات أكثر معارك الحرب العالمية الثانية فى الصحراء الغربية ، كانت روحه المعنوية عالية جدا وهو دائم التنقل فى الصحراء كضابط اشارة تحت النيران المتساقطة من الطائرات فى السماء ، ومن المدفعية فوق الارض ، ورغم رتبته الصغيرة ، وسـنه الصغير أيامها ، الا انه لـكفاءته الفنية كان مسئولا عن جميع المواصلات اللاسلكية بالصحراء الغربية .

عرفناه كلنا منذ عام ١٩٤٠ حتى ١٩٤٢ بقدرته السياسية ووعيه الوطنى ، وفهمه للأحداث ، وتحليله لـكل موقف سياسى خارجى او داخلى . . فيما مضى كان مثل هذا الشاب بين مجموعات الشباب المصرى قليلا للغاية ، فضلا عن قلبه الـكبير ، وأذكر انه حين كان « يمسك اباشى » الـكلية الحربية ، يحرص كل منا كطلبة على الضبط والربط خوفا من اغضابه ، فقد عشـنا معه وعهـدناه دائما رقيقا مهذبا ، حنونا ، مهتما بنـا وبمشاكلنا ، فحرصنا بدورنا على ان نعامله بالمثل .

وكان يحب الحوار والمناقشة الطويلة ، وفى جميـع

احاديثه نجده متفائلا بالمستقبل ، متحدثا عنه متخيلا صورة بلدنا بعد تحريرها من المستعمر .

***

ولقــد اعتقل عدة مرات ، وانتصر على المعتقل ذات يوم بأن حطم قيده وافلت من حراسة الانجليز، وناضل سنوات طويلة نضال الابطال ، وبحثا عن لقمة العيش، عمل بكل مهنة يمكن أن يتخيلها انسان ، ولم ييأس ، وتحت اسم مستعار وملامح متخفية كان يلتقى بنا ، واذا به يتحدث عن مصر وعن قوات الاحتـلال ، ولا يترك لنا دقيقة واحدة نسأله كيف حاله ؟ كيف يعيش أيامه ؟ ثم يتركنا ، ليعود .. حتى عاد الى الجيش منتصرا ، وفى قلبه كل التصميم على الثورة ، وتغيير الاوضاع .. ولايمانه بربه وبوطنه ، وقف الله دائما الى جانبه ، ولم يخذله على الاطلاق .

تنظيم الضباط الأحرار بعد ٢٠ سنة فى عمر الثورة

توقف رفاق السلاح فى ذكرياتهم عن القائد الرئيس أنور السادات عند مغادرته رفح فى طريقه الى القاهرة فجر يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٥٢ ، ليقوم بدوره ليلة ٢٣ يوليو ..

وليشهد الشعب المصرى بعد ذلك فترة من أنضج فترات كفاحه ونضاله الوطنى الجماهيرى ، ويحكم مصر خلالها ولاول مرة فى تاريخها حاكم من أبنائها ، وتصنع ثورة يوليو تحولا جذريا فى بناء وأرساء المجتمع المصرى الجديد ـ بعد اجلاء قوات الاحتلال البريطانى عن البلاد ـ وهو أول وأكبر اهداف الثورة عند قيامها .

واليوم وثورة ٢٣ يوليو تدرك عامها العشرين ، مليئة بالمعارك المتصلة ، مليئة بالايمان واليقين ، وهى تستعد لمعركة أخرى من أخطر معاركنا الوطنية ، معركة مصيرية لا بديل فيها للنصر غير النصر ..

اليوم نترك « الكلام » لذكريات الرئيس القائد عن مكونات تنظيم الضباط الاحرار ، وصلابته وعزمه، وتصميمه على تغيير وجه الحياة فى بلاده ، وايمانه بأن عمر الخطأ قصير ، مهما طالت به الايام .

لم يفرق احدهم بين انتصار المبادىء التى جمعتهم وبين أعواد المشانق التى تنتظرهم اذا لم تنجح ثورتهم ، فجاءت وقفتهم المؤمنة المجيدة صفا واحدا ، كتلة متراصة قوية ، تلتف حول مبادئها وكانت هى حجر الزاوية فيما حققوا لوطنهم من اعمال بارزة ، ووقفت شعوب العالم امامها بكل تقدير واكبار ، وقلبت موازين ومقاييس حكومات كبرى فى الخارج ، لم يكن فى حسابتها قيام واستمرار الثورة ، وانجازها لكثير من أهدافها ، والشعب خلفها يمدها بتأييده ، ويغذيها بصلابته ، حتى رحل القائد الخالد عنا يوم ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ليتولى رفيق الايام الاولى ، رفيق السلاح والثورة ، قيادة الوطن فى فترة من أدق واخطر مراحل نضالنا الوطنى ، وما توقف ابدا عبر الاجيال ..

يقول الرئيس القائد أنور السادات :

ـ ان السر الحقيقى فى نجاح هذه الثورة ، راجع الى الروح التى سادت فى التمهيد لها ..

فقد يجتمع الناس حول مبادىء ، حول نظريات يقرؤونها ، ويعتنقونها ، أو أفكار يبشر بها دعاتها وقد يبلغ بهم الاقتناع بهذه المبادىء والنظريات ، والافكار غايته ، ويبلغ بهم التعصب لها ذروته وما بعد الذروة ايضا ان صح هذا القول ..

ولكن هذه المبادىء والنظريات قد تتعرض للجدل ، فتتعرض الجماعة للانقسام .. وقد يتفاقم الجدل ، فينحرف عن الآراء الى أصحابها ، وتبرز الاشخاص ، وتختفى الآراء .. وتتلاعب أهواء النفوس .. ثم تنهار الجماعة وما اجتمعت عليه .. !

تحدث هذا كثيرا .. حدث فى مصر ، وحدث فى غير مصر .. وفقدت الشعوب فرصا كثيرة للتحرر والتطور، لان مجادلات قامت بين قادتها ، أورثتهم التفكك والتحزب ، وفتحت الثغرات بينهم لمطامع النفوس واهوائها ..

ولست اكتب هذا غضا من قيمة المبادىء والنظريات فما استحق الحياة من لا مبدأ له يعيش من اجله ... ولكننى فقط ارى ان المبادىء وحدها لا تكفى ، لان الرباط الذى يربط العقول ، لايستطيع دائما ان يربط القلوب ، وان يذيب الهوى ، ويقتل الاطماع ..

ولذلك ارجع الفضل فى نجاح هذه الثورة ، وعدم انكشاف امرها .. الى شىء أهم كثيرا من المبادىء التى قامت عليها ، وقامت من اجلها .. الى الصداقة العزيزة الوثيقة ، التى ربطت بين كل من شارك فيها ، صغيرا كان ام كبيرا ..

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة أن يزيد عدد الضباط الاحرار قبيل الثورة على الالف ضابط فلا يوجد بينهم خائن ، ولا وجل ، ولا ثرثار ؟ !

وهل كان يمكن ، لولا هذه الصداقة ، أن تقوم الثورة فعلا ، وتنجح ، فلا يعرف من الاحرار الا هذا العدد الضئيل ، الذى الزمته ظروف الثورة ان يظهر بوجهه على مسرح الاحداث ، وأن يتحمل بنفسه مسئوليات العمل الكبير ؟ ! ..

انها الصداقة فقط .. الصداقة التى استطاعت أن تحوط مبادىء الثورة بسياجها المتين ، وان تحمى النفوس من نزواتها .. لانها احتلت من كل قلب منزل الاطماع ..

وبهذا الدستور .. دستور الصداقة .. بدأ التكوين الفعلى للأحرار فى عام ١٩٤٤ ..

كانوا قد أصبحوا جماعة من الاصدقاء .. جماعة صغيرة عرف بعضهم فى ظروف كثيرة مختلفة ..وقربت بينهم صداقة أثيرة واعية ..

ومنهم من عرفه الناس فى مجلس الثورة بعد ذلك.. ومنهم من لا يزال يقوم بنصيبه من العمل فى وحدته او سلاحه او الادارة التى ينتمى اليها ..

اصدقاء متفاهمون .. يريدون أن يعملوا شيئا ..

ويستعرض هؤلاء الاصدقاء حالة البلاد.. فيخرجون بعدد من الحقائق التى يجب ان يحسب لكل منها حسابها ..

يستعرضون حالة الجيش ، فاذا هى حالة اليمة غير مشجعة .. فلم يكن لضباط الجيش اذ ذاك اى راى عام .. ولو فرض ان كل ضابط صغير كان اذ ذاك ساخطا فى نفسه .. فان هذا السخط لايمكن ان يؤدى الى نتيجة عملية ، ما لم يصبح سخطا عاما ، محدد الاسباب ، دافعا الى التكتل والعمل ..

فالمشكلة الاولى اذن ، هى مشكلة خلق رأى عام بين ضباط الجيش ، حتى يستطيع هذا الرأى العام أن يحرك الجيش كله نحو هدف واحد ، بصورة منظمة منسقة تؤتى ثمارها .. -

ولم يكن يغيب عن ذهن هذه المجموعة ، ما سبق من احداث خلال الفترة الاولى من أيام الحرب .. فقد كنا اذ ذاك نعمل.. ولكننا كنا نعمل اعتمادا على انفسنا ،

لا على رأى عام موحد بين الضباط .. ولذلك كانت اعمالنا فردية ، أو شبه فردية .. وقد تأكد لهذه المجموعة ألا جدوى هناك من أى عمل فردى .. وان العمل يجب أن يكون عملا جماعيا كبيرا يأتى نتيجة لرأى عام يجمع الضباط ..

والمشكلة الثانية التى كانت هذه الجماعة تفكر فيها .. هى مشكلة انعزال الجيش عن الشعب ، وتسخيره دائما ضد كل حركة شعبية تقوم فى البلاد ..

فقد كان الشعب فى تلك الفترة يتحمل العبء كله .. عبء الثورة بعد الثورة .. عبء التضحيات الجسيمة والاستشهاد برصاص السلطات المصرية والانجليزية أيضا ..

وكانت هذه المجموعة ترى ان الشعب الذى تحمل حتى اليوم كل التبعات والتضحيات ينبغى أن يطمئن الى جانب جيشه .. وأن يدرك ان هذا الجيش معه ، لا عليه .. وعلى الاقل ، أن يدرك ان هذا الجيش ، ان لم يستطع أن يكون معه بحكم ظروفه وواقعه ، فلن يكون عليه بحكم مصريته ..

واستقرت المجموعة على خطة طويلة المدى ..

وأصبح دور هذه المجموعة منذ تلك الايام ، هو السير خطوة خطوة حسب برنامج مرسوم على الوجه التالى :

- خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش ..

- اشعار الضباط ان عليهم مسئولية كمواطنين ، لا تقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين ..

ـ التدرج فى بث الوعى السياسى بين الضباط حتى يصبح من الممكن توجيههم الى ان يكون للجيش نفسه دور فى عملية انقاذ البلاد ، أو أن يكون على الاقل محايدا بين الشعب والسلطات الغاصبة الحاكمة ، بحيث لايشترك فى تسديد الضربات الى الشعب اذا تقدم أحد لحمل تبعة الانقاذ ..

اما الهدف البعيد من كل هذا فهو الوصول بأى صورة من الصور الى تغيير النظام الملكى القائم فى البلاد ..

وبدأت المجموعة بعد ذلك تسير الى هذه الاهداف وفق نظام معين أيضا تم الاتفاق عليه ..

فقد تم الاتفاق مثلا على نبذ السرية نبذا تاما فى هذه المرحلة من مراحل الدعوة ..

فان السرية توحى بالتآمر ، وتنذر بالخطورة ولا تستطيع أن تجمع الانصار بسهولة ، لان عامل الخوف والحذر قد يتغلب فى آخر الامر ..

فلتكن العلنية اذن هى الوسيلة .. ففى جوها يمكن تكوين الصداقات وتعزيزها ، واختيار الاشخاص الذين يبدو اخلاصهم وقدرتهم على العمل دون اثارة لغط او شكوك فى صفوف الضباط أو فى الاوساط الحاكمة ..

وكانت هذه هى الخطوة الاولى .. فقد قامت هذه المجموعة بين جماعات الاصدقاء فى الجيش تثير المناقشات العلنية فى جميع مشاكل الدولة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الداخلية والخارجية ..

وانتشرت هذه الاجتماعات .. أو ـ بمعنى أصح ـ انتشرت

هـذه المناقشات العلنية بين الضباط بصـورة مبشرة ناجحة ..

وبدات بواكير النجاح تظهر سريعا ..

فقد بدات تسمع نفس المناقشـات هنا وهناك .. وبدات ترى الضباط يلتقون فاذا هم متفقون فى السخط، متفقون فى الشعور بحاجات الوطن ، متفقون فى التفكير فيما يجب عمله من اجل انقاذه ..

ومعنى هذا ان الراى العام قد بدأ يتكون .. وان عقبة كبيرة من عقبات الطريق قد أخذت تزول ..

وكان لابد بعد ذلك من التوجيه .. فقد كان واضحا ان هذا السخط عنـدما ينمو ، يمكن أن يكون خطرا كبيرا ، اذا لم يصحبه توجيه سديد ..

فقد تقع أحداث كالتى كانت تقع بين شهر وآخر ، وبين يوم وآخر من تلك الايام العصيبة السوداء .. واذا بالساخطين ينفجرون فرادى .. أو ينفجرون دون وعى ، فيؤخرون الحركة بدلا من أن يساعدوا على تقدمها ..

وقد تستطيع بعض الهيئات أو الجماعات اذ تشعر بهذه الروح الجديدة تدب بين ضباط الجيش أن تحاول ضمهم اليها بصـورة أو بأخرى .. وعندئذ تفلت من الجيش قيادته ، الى أبد قد لا تحسن التوجيه ..

وعادت المجموعة تتفق على أسـاسين آخرين تعتبر المحافظة عليهما عاملا جوهريا من عوامل النجاح :

العمل على الا يتأثر الضباط بالاحداث الجارية اى تأثر يدفعهم فرادى أو جماعات على القيام بأى عمل دون

وعى أساسى ، ودون خطة حكيمة مرسومة ..

والعمل على أن يحتفظ ضباط الجيش باستقلال تفكيرهم ، فلا يرتبطون كأفراد ، أو كجماعات باية هيئة او حزب خارج نطاق الجيش ، لان الجيش عنصر خطير يجب ان يظل توجيهه فى الايدى القادرة على تقدير خطره ، فلا يكون أداة فى يد أحد أو جماعة من الناس.

وكان لابد لضمان هذين العنصرين من نشاط منظم تسيطر على توجيهه المجموعة نفسها ..

ويوما بعد يوم ، وجدت حلقتان كبيرتان تجتمعان علنا ، وفى نطاق واسع ، وعلى أساس الصداقة ايضا..

وعن طريق هاتين الحركتين ، بثت الافكار ، وحذر الضباط من التاثر بالحوادث تأثرا فرديا ومن الارتباط باية جماعة أو فرد خارج نطاق الجيش ..

وبدات هاتان الفكرتان ترسخان فى نفوس الضباط..

واصبحتا جزءا لا يتجزا من الراى العام المنتشر الموحد بين ضباط مختلف الاسلحة .. .

واطمانت المجموعة الى ان الجيش لن يقوم باى عمل اخرق ، أو احمق .. وان الضباط سيظلون بمناى عن التاثر الفردى .. وانهم لن يعملوا الا جبهة واحدة منظمة ..

وبطبيعة الحال لم تكن سيطرة المجموعة قد شملت جميع ضباط الجيش ، ولا نسبة كبيرة منهم ..

فقد كانت فى الجيش العناصر السلبية التى لا تضر ولا تفيد ، والتى لا يمكن الاعتماد عليها فى اى شىء ..

وكانت فى الجيش عناصر اخرى مستقلة من هذا

التكوين ، رفضت جماعتنا التعاون معها ..

وكانت فى الجيش عناصر انتهازية ، لم يكن من الصعب تحديدها ، واتقاء خطرها ..

وفى ظلال هذه الاجتماعات العلنية ، والمناقشات المخلصة ، والوعى الذى بدا ينمو ، تكونت الصداقة القوية بين الضباط .. التى كانت سياج الحركة منذ ذلك التاريخ .. وظلت سياجها حتى اليوم ..

ومثلما كان من المستحيل الوصول الى السيطرة الكاملة على جميع ضباط الجيش وعناصره ، فقد كان من المستحيل منع الضباط من التاثر بالاحداث الجارية فى البلاد .. ولكن المبدا الذى اتفقت المجموعة عليه ، منذ البدء .. وهو الا يؤدى هذا التاثر الى اى عمل فردي ، قد ظل سائدا طول الوقت .. وكان تاثر الضباط بالاحداث ، عاملا مساعدا لاكتمال صفوفهم حول الفكرة والهدف البعيد ، ولتحديد دورهم تحديدا واضحا وضوح الشمس ..

وجاء عام ١٩٤٩، بعد محنة الحرب الكبرى ، وعاد الجيش من فلسطين ومعه المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة ، الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته ..

فى ذلك العام بدات مرحلة جديدة فى الموقف السياسى للبلاد ، وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد خسر كثيرا خلال المعركة بفلسطين ، فأصبح حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر خاصة وانها ، اي الخسائر ، كانت قد بلغت حد فقدان الاتصال

بعضهم ببعض ... فبداوا يعملون على الفور لتجديد الاتصـــال ، بهدف تكوين هيئـــة تاسيسـيـة للضـــباط الاحرار ، ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن ان يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب ..

وتكونت الهيئة التاسيسية فعلا ، وتضاعف نشـــاط الضـــباط الاحرار ، وفى ينـــاير عام ١٩٥٠ ، أجريت انتخابات رئاسة الهيئـــة التاسيسية ، وانتخب جمـــال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع ، وعلى اثر هذا مضينا نستعد لخوض أضخم معركة فى تاريخ الشعب ، بدأنا نعد انفسنا للاشتباك مع الاعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد ..

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت اشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته اعنف مأساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الارض ..

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى ارضـــنا ، بل فساد ، واستبداد ، وحكم مطلق ، وسماسرة يتـــاجرون بكل شيء ، بالسياسة ، وبالارزاق ، وبالمستقبل نفسه ، مستقبل الملايين ، اما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من انه لا توجـــد قوة فى الوجود يمكنها زحزحتهم عن اماكنهم ...

وجاء عام ١٩٥٠ ، وقـــد تكونت فعلا قيـــادة للثورة المصرية داخل الجيش ، وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد نما واصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠.

وبدات الهيئة التاسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد للضربة الـكبرى ..

وخرجت المنشـــورات السـرية لتقض مضـاجع قادة الجيش ورجـال القصر وحكامهم وكانت المنشـــورات ثورية ، حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ، كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الراى العام فى البلاد ، فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها .. والشعب يريد القضاء على المستعمر واذنابه .. ونحن نســجل ارادته .. والشـعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك .. ونحن نطبـع مئات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب ، ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ، اما متى تبدا المعركة ؟ .. فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف ، بلغة العسكريين ..

***

وقدر الموقف فعلا على اساس قلب نظـام الحكم ، واحلال نظام جديد مكانه وحددت المدة لتنفيـذ الخطة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات ، أى ان قيام الثورة كان سيبدأ عام ١٩٥٥ ، وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ .

وفى ينـاير عام ١٩٥١ ، اجريت انتخابات جـديدة للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار واعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسـا لها للمرة الثانية ، وازداد اصرارنا على أن يكون الجيش بعيدا عن نفوذ الاحزاب والهيئات وان يظل جيش الشعب ، لا أدوات لفئة أو جماعة او حزب معين ..

ومضت الايام باحـداثها الـكبيرة ، وقام الضـباط

الاحرار بواجبهم الوطنى فى عمليات الفدائيين « معارك القنال » خلال عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ ، رغم ارادة القصر، والحكومة ، وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات ثورية داخل الجيش أكثر مما قدرت الهيئة التاسيسية للحركة، وقد أصبح فى كل وحدة من الوحدات العسكرية، افراد منضمون لتنظيم الضباط الاحرار ، ونجحت الفكرة الى حد كبير ، بينما الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ، من بينها قرار الملك بتأجيل انتخابات نادى ضباط الجيش الى أجل غير مسمى، فقرر الضباط الاحرار تحدى هذا القرار بشكل سافر .. لماذا ؟ !

يقول الرئيس السادات :

ـ لم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من احد عملاء الملك ، أو رد اللطمة للقصر الملكى فقط ، بل رأينا أن هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة ، معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة ويبعث فى نفوس جميع الرفاق بالتنظيم الاحساس بالقوة .. وليس هذا فقط ، فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار ..

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة اخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها ، فالملك سوف يشعر بهزيمة

عملائه فى تلك الانتخابات وسيفهم بان الجيش غير راض عن تصرفاته ويمكن اثناء المعركة الانتخابية كشف الخونة وعملاء القصر ، وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى ..

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننا وبين القصر ، وشعر الملك بان فى الجيش نشاطا مريبا ، وان فى الافق سحبا تنذر بالشر ، فأصدر امرا بتأجيل الانتخابات فى نادى الضباط ..

وقرر تنظيم الضباط الاحرار تحدى امر التأجيل ، وان نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، فلم نبال بالقرار الملكي ، وصدرت التوجيهات لجميع الضباط الاحرار بان يتوجه اكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخابات وكان محددا لها يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٥١ ..

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عدد كبير من الضباط الاحرار ، واعلنوا على الفور إحتجاجهم على امر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة ايام بواسطة رئاسة الجيش لتقرر ما تشاء ..

ولم نكن نتوقع ان تستجيب رئاسة الجيش لهذا التحدى ، لكن يبدو انها خشيت توتر الموقف .. فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخابات ..

ولقد نجحت خطة التنظيم ، فكل الذين سجلنا اسماءهم فى قائمة الانتخابات حصلوا على اصوات باغلبية ساحقة ، وارتفعت المعنويات بين جميع افراد القوات

المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة فى يناير عام ١٩٥٢، واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ..

ثم قررنا ان نكون على استعداد خلال شهر واحد وبذلك تغيرت الخطة ..

واثناء حريق القاهرة ، صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة اعمال التخريب كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار واعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة ، ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعداء الا بثورة وليس بالتخريب ، او الخطب الرنانة . وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ..

***

وجاء يوم ١٨ ثم ١٩ يوليو .. وتقرر ان يكون موعد الثورة ليلة ٢١ يوليو ، ثم تاجل الموعد الى ليلة ٢٢ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى اجازاتهم

كل الخطوات كانت معدة بدقة وتخطيط وتفاصيلها مكتملة ، وفى صباح ٢٢ يوليو تركت « رفح » فى طريقى

الى القاهرة وأشرقت شمس اليوم التالى على العاصمة وخرج الناس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وقد استمعوا الى أول بيان للثورة ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليشاهدوا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ، ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيادة .. ان الشعب يؤيد ما حدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر بالبلد ، الناس فرحون ، كل الناس ، فقد كانت فرحة العمر ..

***

وما أن انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحت مطلقة وتحركت القوات الى الاسكندرية ، وفى مساء ٢٦ يوليو خرج الملك مطرودا بناء على رغبة الشعب .. وبقى أمامنا الكثير وكان علينا أن نمضى فى تحقيق الاهداف التى رسمناها من قبل . اهداف الثورة المصرية ..

ومضت الايام ... عشرون عاما حافلة ... سائرة باذن الله فى طريق النصر

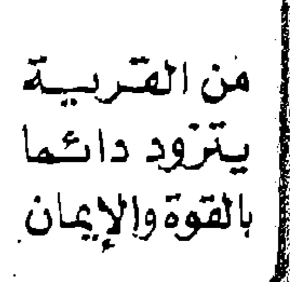
فهرس

صفحة

سيرة حياته بالصور



كان ايمانه منذ صباه هو سلاحه في جميع معاركه التي خاضها ـ والصورة التقطها المصور حسين جمعة ـ عصر احد ايام ١٩٥٨







بالمرحلة الثانوية ؟ ثم بعد تخرجه في الكلية الحربية بالإسكندرية

زميلا الدراسة الابتدائية بالقرية خلال العشرينات





« كتاب » الشيخ عبد الحميد حيث حفظ الرئيس آيات القرآن الكريم

« كلمة » سجلها السادات بمدرسته الابتدائية حين زارها عام ١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

السادات طالبا بالمدرسة العربية عام ١٩٣٦



المدرسة العربية ١٩٣٥ ـ ١٩٣٨



[illegible] الطليعة نادى
الفروسية الحربية
[illegible]
الرئيس السادات
[illegible]
عـــام ١٩٣٧ م

خريجو دفعة السادات بحفل التخرج (٦ فبراير ١٩٣٨)

نفس الدفعة ، بعد عشرين سنة في بيت الرئيس السادات

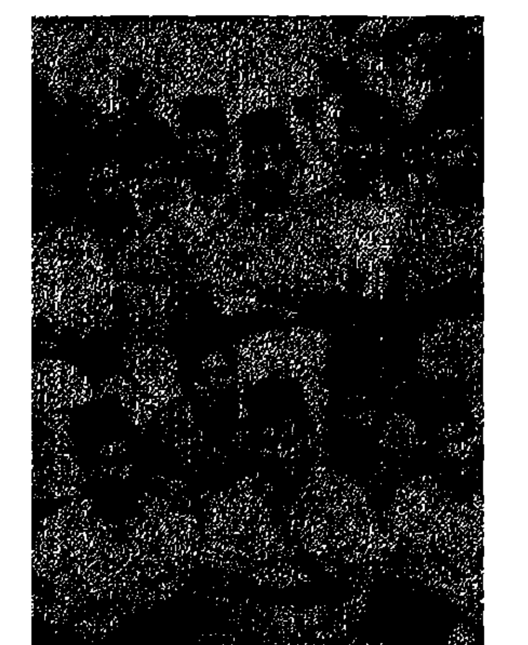




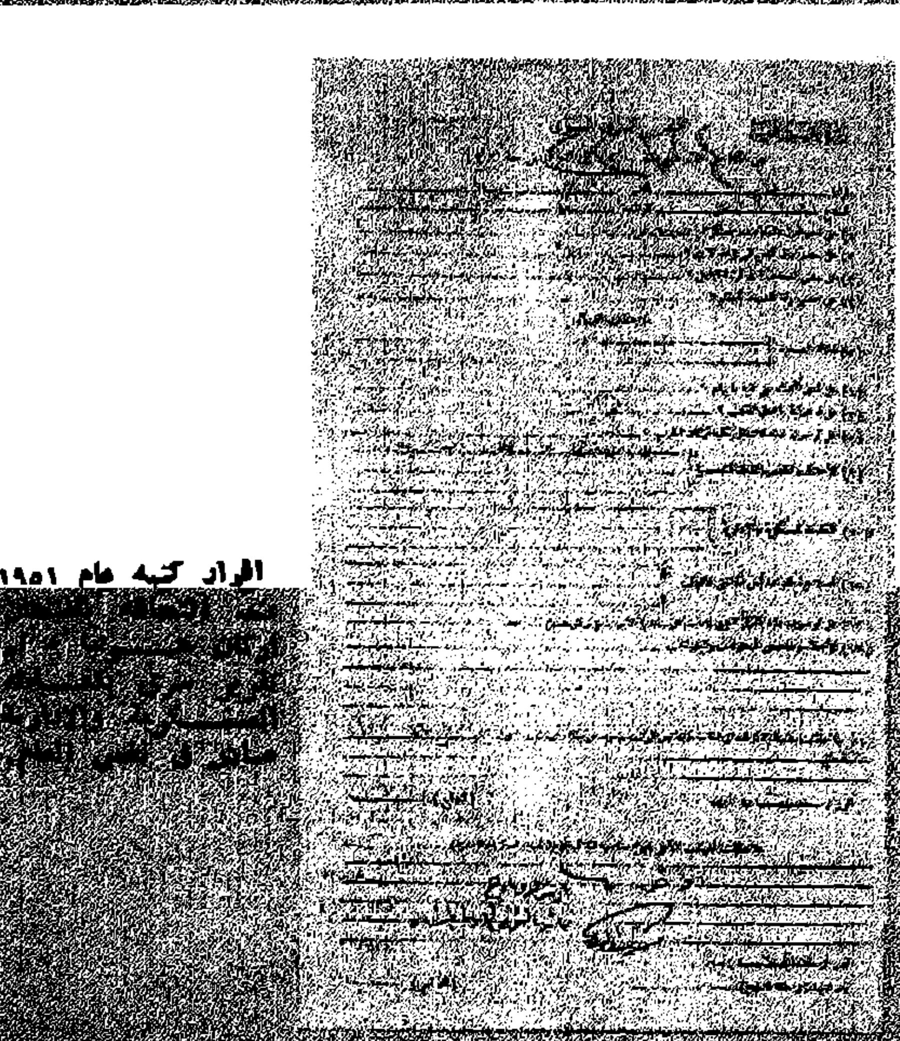
بمدرسة الاشارة عام ٣٨ - ٣٩ - حيث تولدت الفكره الثورية بين رفاق السلاح

التقارير السرية العسكرية
التي وضعت عنه . .

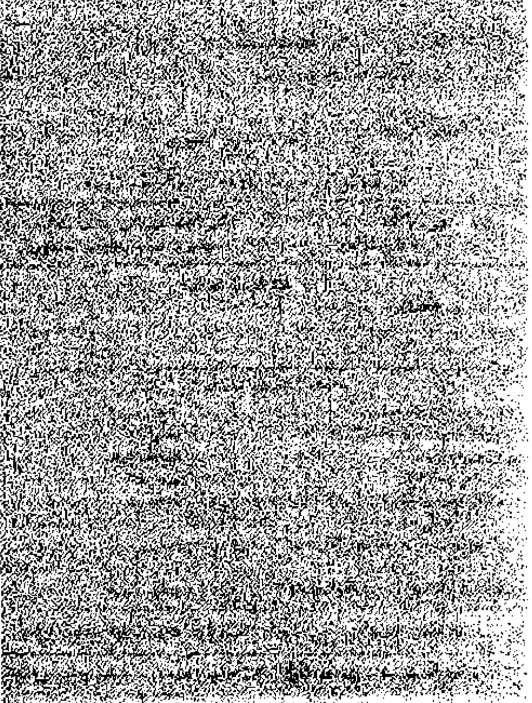
بين ضباط الاشارة ، وصـــورة النشرة العســكرية باسماء الدفعة ، التي كانت تصدر بالانجليـزية ، عام ١٩٣٨



القرار كتبه عام ١٩٥١









لسادات ضابطا برتبه ملازم ثان مع « ابو الاشارة » ل مصر اللواء
سكندر آبو السعد



وأخــرجوه من الجـيش ولـكـن إيمـانـه بالعسكرية المصريـة كان أقـوى منهـم

صورة التقطت له قبل اخراجه من الجيش المصرى عام ٩٢ ، ثم صورته بالملابس المدنية اثناء المحاكمات الارهابية التى تعرض لها





زملاء الدفعة

فبراير ١٩٣٨

يروون عن مصر وعنه



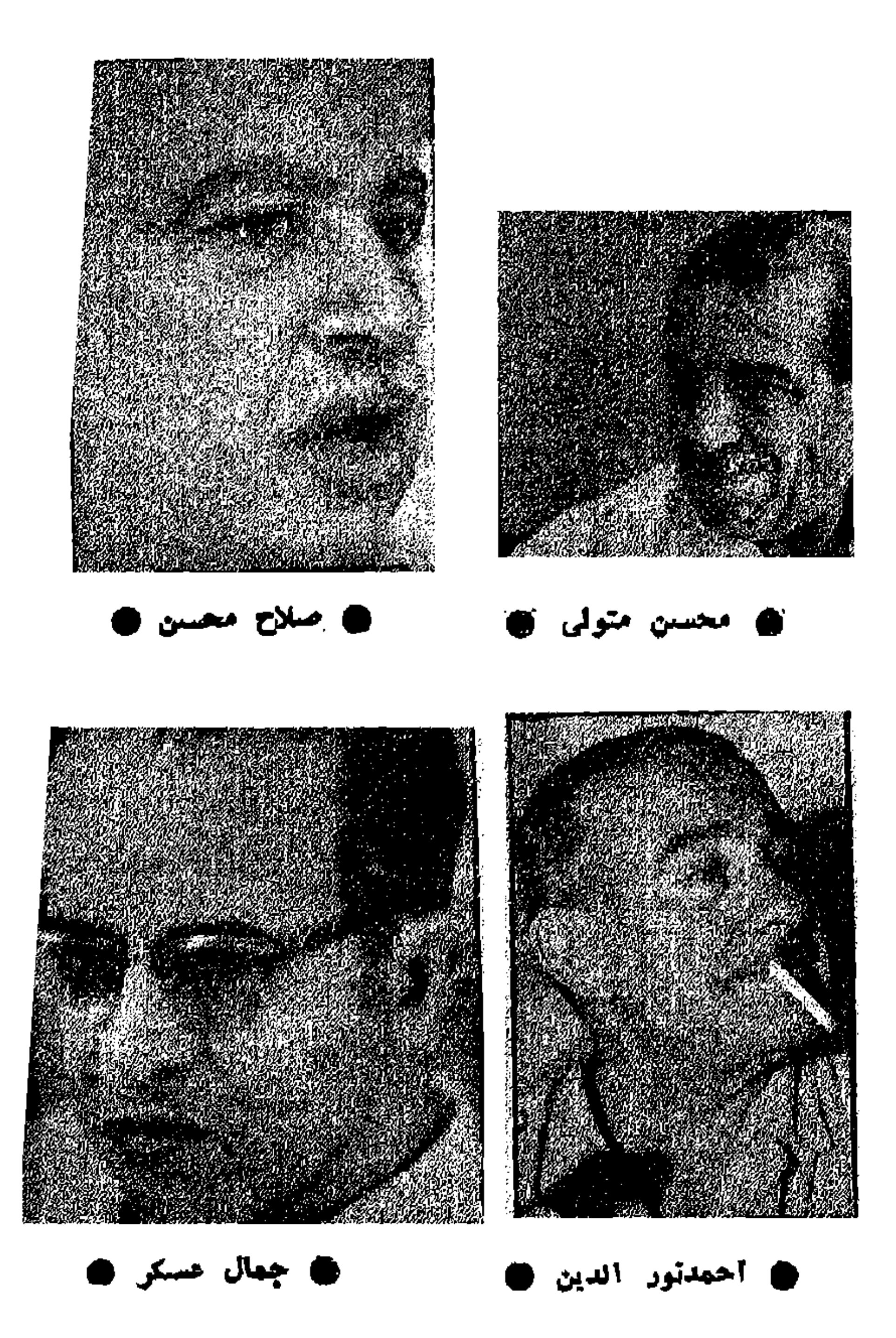


حسين الشافعي ، وصورة له طالبا بالمدرسة الحربية .. دفعة الرئيس !!



● علي عبد الكريم ● ● حافظ اسماعيل ● ● محمود الرمالي ●

بدى قسائم اشتراكه
ابطة الدامعة ،
اقسيمة تعود لعام
١٩٥.. ..

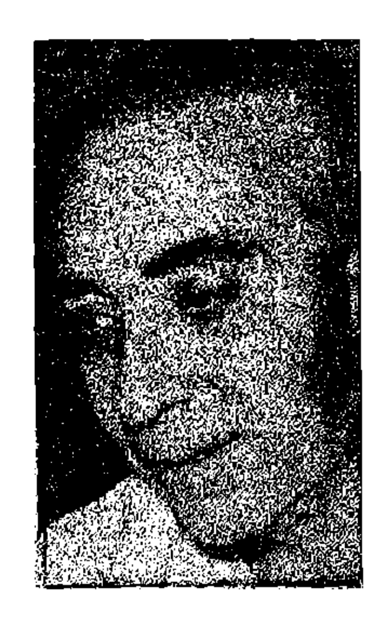


● محسن متولى ●

● صلاح محسن ●

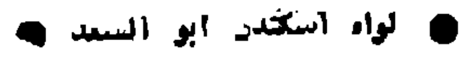
● احمدنور الدين ●

● جمال عسكر ●



● عبد الله لطفي ●

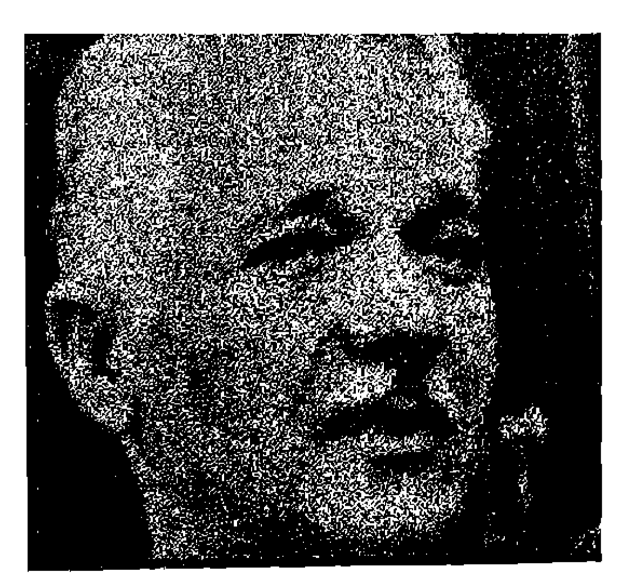




● لواء اسكندر ابو السعد ●

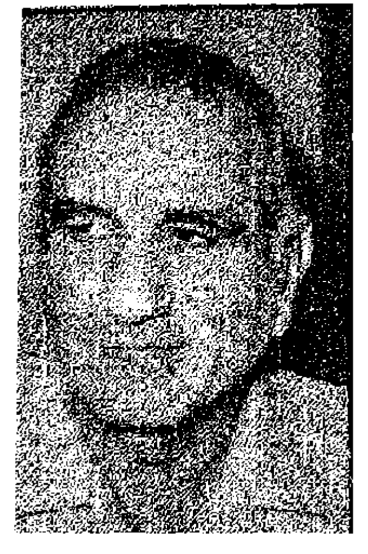


● البوريني ●



● عدلي اسحاق بزري ●





● حنا توفيق ●



● شفيق حسيب ●



● طه طه فتح الدين ●



● عبد الرحمن سعيد ●

● مراد عبد الشافى ●

● ف . خفاجى ●

● م . أبو حسنين ●





● م . كمال ●



● أ . فهمى ●





● رفعت ماضى ●





الآن ، وصـــورة قديمة له في عمليات فلسطين ١٩٤٨

الرئيس السادات قبل قيام الثورة خــــلال
اشتراكه بعمليــــات القنــابل عام ٥١ / ١٩٥٢

صلاح هدايت، أحد الفدائيين العسكريين ١٩٥١
كان مســئولا من اعداد القنابل والالغـــام .






ثم قام
بدوره الثوري
ليلة
٢٣ يوليو
الخالدة

أول بيان للثورة بخط الرئيس السادات بعد أن كتبه فجر ٢٢ يوليو ١٩٥٢

إننا مواجهون
بمعركة المصير
ولابديل للنصر

القائد الأعلى للقوات المسلحة

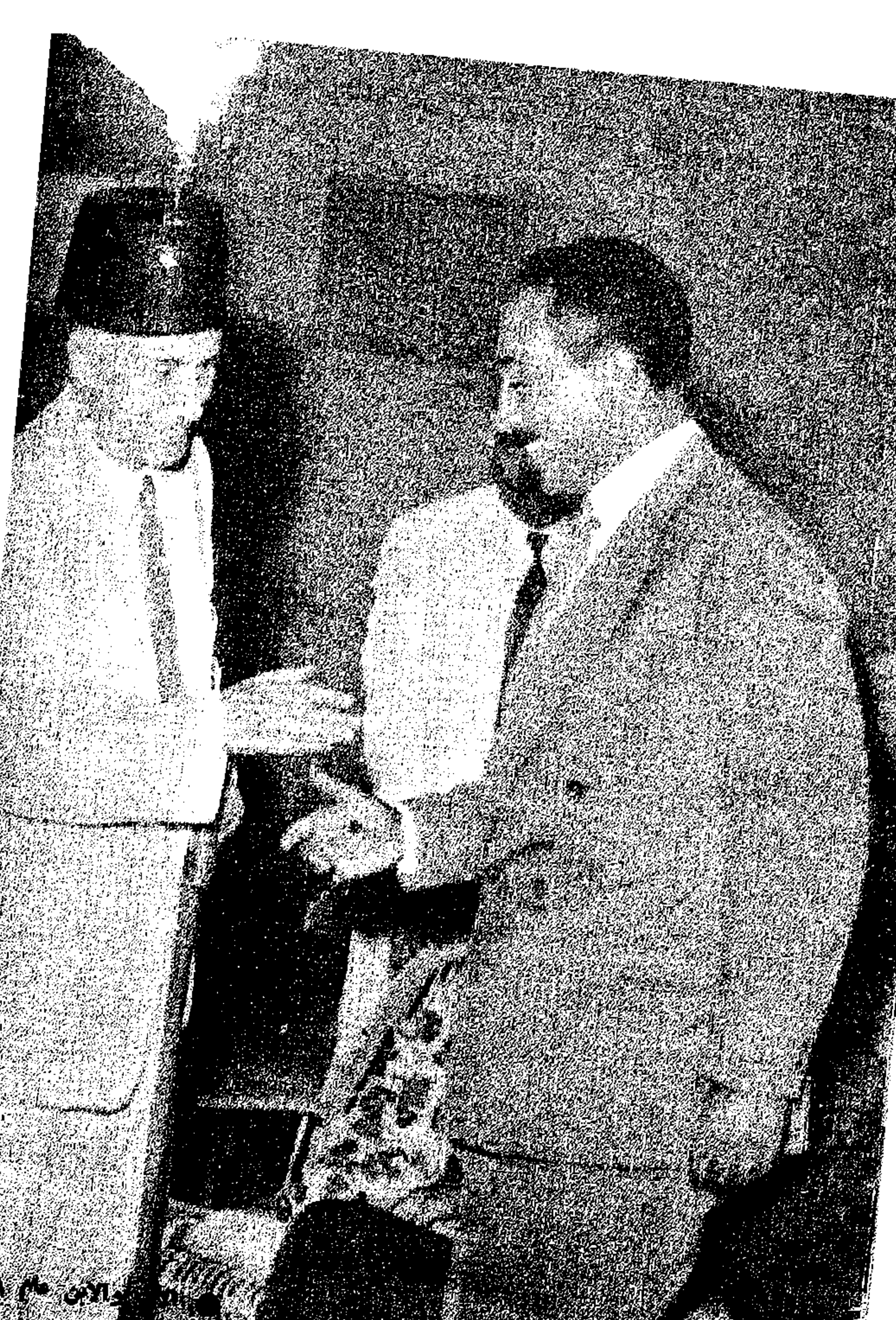


القائد الاعلى فى زيارته للقــوات البحريه والى جانبه القائد العام الفريق اول محمد احمد صادق ــ ١٩٧٢



القــائد الاعــلى فى زيارته لاحدى وحدات العمليات الخاصة ــ ١٩٧١





وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ــ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

كان اسم أنور السادات ، هو اول اسم عرفناه من بين الابطال الذين صنعوا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

عرفنا اسمه ، قبل قيام هذه الثورة بعشر سنوات ...

عرفنا أن هذا الشاب المصرى الاسمر ، هو طليعة الفدائيين الذين وهبوا ارواحهم لله والوطن .

سمعنا به كما نسمع بالأسطورة الرائعة ، شابا رائدا ، يعشق مصر ، وفي سبيل هذا العشق ، يتحدى طاغوت الانجليز ، وجبروت الملك ، ويضرب بالوظيفة عرض الحائط ، ويقف فى قفص الاتهام ، ويدخل السجن ، ويقفز من فوق أسوار السجن ، ويعانى الجوع والحرمان ، دون ان يهتز له ايمان .

عرفناه فدائيا ...

ثم عرفناه في صفوفنا ، خادما من خدام الكلمة ، يكتب مذكراته وخواطره وسوانحه فى صحف دارنا — دار الهلال — ويؤلف اكثر من كتاب ، وفي أسلوبه لغة الاديب وروح الشاعر وخيال الحالم وعزم المناضل .

وبقى لنا ان نعرفه عسكريا ، وهـــذه هى الرؤية الكبيرة التى يرسمها لنا رفاقه فى السلاح ، فى هذا الكتاب ، الذى نقدمه اليوم الى شباب مصر والامة العربية فى عيد الثورة ، تحية لأول وجه عرفناه من وجوه الثورة ... ولأول ثائر فى سبيل الثورة .

انه بطل ١٩٤٢ ، وبطل ١٩٥٢ ، وبطل ١٩٧١ ... وبطل معركة النصر بإذن الله .

صالح جودت

١٢ قرشا